سورة الانشقاق

لأبي الحسن محمد بن حسن بن عباس

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين أجمعين

سُورَةُ الانشِقَاقِ

بسم الله الرحمن الرحيم

سُورَةُ الانشِقَاقِ

أَسْمَاءُ السُّورَةِ: -

سُمِّيَت فِي زَمَنِ الصَّحَابَةِ: «سُورَة إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّت»، عَن أَبِي سَلَمَةَ: «أَنَّ أَبَا هُرَيرَةَ قَرَأَ بِهِم ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ﴾ [الانشِقَاق:١] فَسَجَدَ فِيهَا»، وبِذَلِكَ عَنونَهَا البُخَارِيُّ والتِّرمِذِيُّ، وكَذَلِكَ سَمَّاهَا فِي «الإِتقَانِ».

وسَمَّاهَا المُفَسِّرُونَ وكُتَّابُ المَصَاحِفِ «سُورَة الانشِقَاقِ» بِاعتِبَارِ المَعنَى، كَمَا سُمِّيَتِ السُّورَةُ السَّابِقَةُ «سُورَة التَّطفِيفِ» و«سُورَة انشَقَّت» اختِصَارًا.

ولَم يَذكُرهَا السُّيُوطِيُّ فِي «الإِتقَان» مَعَ السُّورِ ذَواتِ أَكثَرَ مِن اسمٍ.[١]

تَرْتِيبُ النُّزُولِ: -

وقَد عُدَّتِ الثَّالِثَةَ والثَّمَانِينَ فِي تَعدَادِ نُزُولِ السُّورِ، نَزَلَت بَعدَ سُورَةِ الانفِطَارِ وقَبلَ سُورَةِ الرُّوم.[٢]

هَلِ السُّورَةُ مَكِّيَّةٌ أَوْ مَدَنِيَّةٌ؟

نَقَلَ المَاورِدِيُّ وابنُ الجَوزِيِّ وابنُ عَطِيَّةَ والقُرطُبِيُّ والبِقَاعِيُّ والأَلُوسِيُّ

---

(١) «التَّحرِير والتَّنوِير» (٣٠/ ٢١٧).

(٢) «النَّاسِخُ والمَنسُوخُ وتَنزِيلُ القُرآنِ المَنسُوب لِلزُّهرِيِّ» (ص٤٠) «تَفسِيرُ ابنِ جُزَيِّ = التَّسهِيل لِعُلُومِ التَّنزِيل» (٢/ ٤٦٤) «التَّحرِيرُ والتَّنوِيرُ» (٣٠/ ٢١٧).

والطَّاهِرُ بنُ عَاشُورٍ الإِجمَاعَ عَلَى أَنَّهَا سُورَةٌ مَكِّيَّةٌ.(١)

أَغرَاضُ السُّورَةِ:

لَو أَرَدتَ أَن تُعنَونَ لِلسُّورَةِ بِكَلِمَةٍ تَصِفُ مَا فِيهَا؛ فَهِيَ سُورَةُ الاستِسلَامِ الكَونيِّ للهِ.

ابتَدَأَتِ السُّورَةُ بِوصفِ أَشرَاطِ السَّاعَةِ، وحُلُولِ يَومِ البَعثِ، واختِلَافِ أَحوالِ الخَلقِ يَومَئِذٍ بَينَ أَهلِ نَعِيمٍ وأَهلِ شَقَاءٍ.

وهِيَ إِحدَى ثَلَاثِ سُورٍ قَالَ عَنهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَن أَرَادَ أَن يَنظُرَ إِلَى القِيَامَةِ كَأَنَّهَا رَأيُ عَينٍ، فَليَقرَأ: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ﴾ [الانشِقَاق:١]، و﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ﴾ [الانفِطَار:١]، و﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ﴾ [التَّكوِير:١]»؛ فَهِيَ تَتَحَدَّثُ عَمَّا يَكُونُ فِي يَومِ القِيَامَةِ مِن أَهوالٍ، وتَغَيُّرِ العَالَمِ العُلوِيِّ، والعَالَمِ السُّفلِيِّ.

تَبدَأُ السُّورَةُ بِبَعضِ مَشَاهِدِ الانقِلَابِ الكَونِيَّةِ الَّتِي عُرِضَت بِتَوسُّعٍ فِي سُورَةِ التَّكوِيرِ، ثُمَّ فِي سُورَةِ الانفِطَارِ، ومِن قَبلُ فِي سُورَةِ النَّبَإِ.

ولَكِنَّهَا هُنَا ذَاتُ طَابَعٍ خَاصٍّ.. طَابَعِ الاستِسلَامِ للهِ.. استِسلَامِ السَّمَاءِ واستِسلَامِ الأَرضِ فِي طَواعِيَةٍ وخُشُوعٍ ويُسرٍ.

---

(١) «تَفسِير المَاوردِيِّ = النُّكَت والعُيُون» (٦/ ٢٣٣)، «زَادُ المَسِير فِي عِلم التَّفسِير» (٤/ ٤١٩) «تَفسِير ابنِ عَطِيَّةَ» (٥/ ٤٥٦)، «تَفسِير القُرطُبِيِّ» (١٩/ ٢٦٩)، «تَفسِير الأَلُوسِيِّ = رُوح المَعَانِي» (١٥/ ٢٨٦)، «التَّحرِير والتَّنوِير» (٣٠/ ٢١٧)، «مَصَاعِد النَّظَر لِلإِشرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السُّور» (٣/ ١٧١).

ذَلِكَ المَطلَعُ الخَاشِعُ الجَلِيلُ تَمهِيدٌ لِخطَابِ الإنسَانِ، وإلقَاءِ الخُشُوعِ فِي قَلبِهِ لِرَبِّهِ، وتَذكِيرِهِ بِأَمرِهِ وبِمَصِيرِهِ الَّذِي هُو صَائِرٌ إِلَيهِ عِندَهُ.

حِينَ يَنطَبِعُ فِي حِسِّهِ ظِلُّ الطَّاعَةِ والخُشُوعِ والاستِسلَامِ الَّذِي تُلقِيهِ فِي حِسِّهِ السَّمَاءُ والأَرضُ، فِي المَشهَدِ الهَائِلِ الجَلِيلِ عَرضٌ لِمَشَاهِدَ كَونِيَّةٍ حَاضِرَةٍ، مِمَّا يَقَعُ تَحتَ حِسِّ الإنسَانِ، لَهَا إيحَاؤُهَا ولَهَا دِلَالَتُهَا عَلَى التَّدبِيرِ والتَّقدِيرِ، مَعَ التَّلوِيحِ بِالقَسَمِ بِهَا عَلَى أَنَّ النَّاسَ مُتَقَلِّبُونَ فِي أَحوالٍ مُقَدَّرَةٍ مُدَبَّرَةٍ، لَا مَفَرَّ لَهُم مِن رُكُوبِهَا ومُعَانَاتِهَا: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ ﴿١٩﴾﴾[الانشِقَاق:١٦-١٩].

ثُمَّ يَجِيءُ المَقطَعُ الأَخِيرُ فِي السُّورَةِ؛ تَعجِيبًا مِن حَالِ النَّاسِ الَّذِينَ لَا يُؤمِنُونَ، وهَذِهِ هِيَ حَقِيقَةُ أَمرِهِم كَمَا عُرِضَت فِي المَقطَعَينِ السَّابِقَينِ.

وتِلكَ هِيَ نِهَايَتُهُم ونِهَايَةُ عَالَمِهِم كَمَا جَاءَ فِي مَطلَعِ السُّورَةِ: ﴿فَمَا لَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقُرۡءَانُ لَا يَسۡجُدُونَ۩ ﴿٢١﴾﴾ [الانشِقَاق:١٩-٢٠].

ثُمَّ بَيَانٌ لِعِلمِ اللهِ بِمَا يَضُمُّونَ عَلَيهِ جَوانِحَهُم، وتَهدِيدٌ لَهُم بِمَصِيرِهِمُ المَحتُومِ: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونِۭ﴾[الانشِقَاق:٢٢-٢٥].[1]

(١) «نَظمُ الدُّرَرِ فِي تَنَاسُبِ الآيَاتِ والسُّورِ» (٢١/ ٣٣٥) «فِي ظِلَالِ القُرآنِ» (٦/ ٨٦٤).

مُنَاسَبَةُ السُّورَةِ لِمَا قَبلَهَا:

* وجهُ تَرتِيبِ سُورَةِ الانفِطَارِ والمُطَفِّفِينَ والانشِقَاقِ:

فِي سُورَةِ الانفِطَارِ التَّعرِيفُ بِالحَفَظَةِ الكَاتِبِينَ، وفِي المُطَفِّفِينَ مَقَرُّ كُتُبِهِم، وفِي هَذِهِ عَرضُهَا فِي القِيَامَةِ.(١)

وقَالَ الإِمَامُ أَبُو جعفَرِ بنُ الزُّبَيرِ: لَمَّا تَقَدَّمَ فِي سُورَةِ الانفِطَارِ التَّعرِيفُ بِالحَفَظَةِ وإِحصَائُهُم عَلَى العِبَادِ فِي كُتُبِهِم، وعَادَ الكَلَامُ إِلَى ذِكرِ مَا يُكتَبُ عَلَى البَرِّ والفَاجِرِ، واستِقرَارُ ذَلِكَ فِي قَولِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ [المُطَفِّفِينَ: ١٨]، وقَولِهِ: ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾ [المُطَفِّفِينَ: ٧] أَتبَعَ ذَلِكَ بِذِكرِ التَّعرِيفِ بِأَخذِ هَذِهِ الكُتُبِ فِي القِيَامَةِ عِندَ العَرضِ، وأَنَّ أَخذَهَا بِالأَيمَانِ عُنوانُ السَّعَادَةِ، وأَخذَهَا وراءَ الظَّهرِ عُنوانُ الشَّقَاءِ؛ إِذ قَد تَقَدَّمَ فِي السُّورَتَينِ قَبلُ ذِكرُ الكُتُبِ واستِقرَارُهَا بِحَسَبِ اختِلَافِ مُضَمَّنَاتِهَا؛ فَمِنهَا مَا هُو فِي عِلِّيِّينَ، ومِنهَا مَا هُو فِي سِجِّينٍ إِلَى يَومِ العَرضِ، فَيُؤتَى كُلٌّ كِتَابَه؛ فَآخِذٌ بِيَمِينِهِ وهُو عُنوانُ سَعَادَتِهِ، وآخِذٌ مِن وراءِ ظَهرِهِ وهُو عُنوانُ هَلَاكِهِ، فَتَحَصَّلَ الإِخبَارُ بِهَذِهِ الكُتُبِ ابتِدَاءً واستِقرَارًا وتَفرِيقًا يَومَ العَرضِ، وافتُتِحَتِ السُّورَةُ بِذِكرِ انشِقَاقِ السَّمَاءِ، ومَدِّ الأَرضِ، وإِلقَائِهَا مَا فِيهَا وتَخَلِّيهَا؛ تَعرِيفًا بِهَذَا اليَومِ العَظِيمِ بِمَا يَتَذَكَّرُ بِهِ مَن سَبَقَت سَعَادَتُهُ

(١) «تَفسِير الآلُوسِيِّ = رُوح المَعَانِي» (١٥/ ٢٨٦) «تَفسِير المَرَاغِي» (٣٠/ ٨٧).

والمُنَاسَـبَةُ بَيِّنَـةٌ.[1] انتَهَـى

وقَـالَ البِقَاعِـيُّ: لَمَّـا خُتِمَـت سُـورَةُ المُطَفِّـفِينَ بِبَيَـانِ حَـالِ الأَبـرَارِ وحَـالِ الفُجَّـارِ، بَـيَّنَ ﷻ مَتَـى تَحدُثُ هَـذِهِ الأُمُـورُ، فَمَقصُـودُ هَـذِهِ السُّـورَةِ الدَّلَالَةُ عَلَى آخِـرِ المُطَفِّفِينَ مِـن أَنَّ الأَولِيَاءَ يُنَعَّمُونَ، والأَعـدَاءَ يُعَذَّبُونَ؛ لِأَنَّهُـم كَانُوا لَا يُقِرُّونَ بِالبَعـثِ ولَا بِالعَـرضِ عَـلَى المَلِـكِ الَّـذِي أَوجَدَهُـم ورَبَّاهُم، كَـمَا يَعـرِضُ المُلُوكُ عَبِيدَهُـم ويَحكُمُـونَ بَينَهُـم؛ فَيَنقَسِـمُونَ إِلَى أَهـلِ ثَـوابٍ وأَهـلِ عِقَابٍ.[2]

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ۝١ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ۝٢ وَإِذَا ٱلۡأَرۡضُ مُدَّتۡ ۝٣ وَأَلۡقَتۡ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتۡ ۝٤ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ﴾ [الانشِقَاق:١-٥] .

إِذَا أَرَدتَ عُنوانًـا لِهَـذِهِ الآيَـاتِ؛ فَهُو الاستِسـلَامُ الكَـونِيُّ للـــهِ رَبِّ العَالَمِينَ، كَمَا فِي قَولِـهِ: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ﴾

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ﴾ [الانشِقَاق:١]

تَنفَطِـرُ السَّـمَاءُ، وتَنشَـقُّ، وتُفتَـحُ يَـومَ القِيَامَـةِ فتَكُـونُ أَبوابًـا، ثُـمَّ تُقشَـطُ مِـن أَصلِهَـا؛ كَقَولِـهِ تَعَـالَى: ﴿وَيَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلۡغَمَٰمِ﴾ [الفُرقَـان: ٢٥].[3]

وقِيـلَ: تَنشَـقُّ لِهَـولِ يَـومِ القِيَامَـةِ؛ لِقَولِـهِ تَعَـالَى: ﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوۡمَئِذٖ وَاهِيَةٞ﴾ [الحَاقَّـة: ١٦]، ولَا يُنَـافِي أَن يَكُـونَ الانشِـقَاقُ بِالغَـمَامِ.[4]

---

(١) «البرُهَان فِي تَنَاسُبِ سُور القُرآن» (ص٣٦٠) «نَظمُ الدُّرَر فِي تَنَاسُبِ الآيَاتِ والسُّور» (٢١/ ٣٣٨)

(٢) «مَصَاعِدِ النَّظَر لِلإِشرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السُّور» (٣/ ١٧٢).

(٣) «تَفسِير الزَّمَخشَرِيِّ = الكَشَّاف عَن حَقَائِقِ غَوامِضِ التَّنزِيل» (٤/ ٧٢٥).

(٤) «تَفسِير الأَلُوسِيِّ = رُوح المَعَانِي» (١٥/ ٢٨٦).

آيَاتٌ تَحمِلُ نَفسَ المَعنَى:

﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ أَبۡوَٰبٗا﴾ [النَّبأ:١٩]
﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ﴾ [الانفِطَار:١]
﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ﴾ [التَّكوير: ١١]
﴿يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ [إبراهيم:٤٨]

* وجَوابُ القَسَمِ فِيهِ ثَلَاثَةُ أَوجُهٍ:

* أَحَدُهَا: أَنَّهُ مَحذُوفٌ، واختَارَ ذَلِكَ الفَرَّاءُ والطَّبَرِيُّ.

۞ وقَالَ الفَرَّاءُ والطَّبَرِيُّ: جَوابُ القَسَمِ كَالمَترُوكِ؛ لِأَنَّ المَعنَى مَعرُوفٌ، قَد تَرَدَّدَ فِي القُرآنِ مَعنَاهُ فَعُرِفَ.(١)

ومَعنَى الكَلَامِ: إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّت؛ رَأَى الإِنسَانُ مَا قَدَّمَ مِن خَيرٍ أَو شَرٍّ، وقَد بَيَّنَ ذَلِكَ قَولُهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ﴾ [الانشِقَاق: ٦] والآيَاتُ بَعدَهَا.(٢)

* الثَّانِي: أَنَّ جَوابَهُ ﴿كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا﴾ [الانشِقَاق: ٦].

۞ وقَالَ الفَرَّاءُ: إِن شِئتَ كَانَ جَوابُهُ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ [الانشِقَاق: ٦]؛ كَقَولِ القَائِلِ: إِذَا كَانَ كَذَا وكَذَا فَيَا أَيُّهَا النَّاسُ تَرَونَ مَا عَمِلتُم مِن خَيرٍ أَو شَرٍّ.

(١) «مَعَانِي القُرآنِ لِلفَرَّاءِ» (٣/ ٢٥٠).

(٢) «تَفسِيرِ الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ٢٣٥).

تَجعَلُ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ [الانشِقَاق:٦] هُو الجَوابُ، وتُضمِرُ فِيهِ الفَاءُ، وقَد فُسِّرَ جَوابُ: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ﴾ [الانشِقَاق:١] -فِيمَا يَلقَى الإنسَانُ مِن ثَوابٍ وعِقَابٍ- وكَأَنَّ المَعنَى: تَرَى الثَّوابَ والعِقَابَ إِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ.(١)

* **الثَّالِثُ**: مَعنَاهُ: اذكُر إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّت.(٢)

﴿وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ﴾ [الانشِقَاق:٢]

«أَذِنَ» الهَمزَةُ والذَّالُ والنُّونُ أَصلَانِ مُتَقَارِبَانِ فِي المَعنَى، مُتَبَاعِدَانِ فِي اللَّفظِ، أَحَدُهُمَا أُذُنُ كُلِّ ذِي أُذُنٍ، والآخَرُ العِلمُ، وعَنهُمَا يَتَفَرَّعُ البَابُ كُلُّهُ.

تَقُولُ العَرَبُ: «قَد أَذِنتُ بِهَذَا الأَمرِ»، أَي: عَلِمتُ، و«آذَنَنِي فُلَانٌ»: أَعلَمَنِي، والمَصدَرُ: الأَذنُ والإِيذَانُ.(٣)

وقَالَ الرَّاغِبُ: أَذِنَ: استَمَعَ.(٤)

وعَن أَبِي هُرَيرَةَ، يَبلُغُ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَا أَذِنَ اللهُ لِشَيءٍ مَا أَذِنَ لِنَبِيٍّ يَتَغَنَّى بِالقُرآنِ»(٥) أَي: مَا استَمَعَ اللهُ لِشَيءٍ كَمَا استَمَعَ لِلنَّبِيِّ حِينَ يَتَغَنَّى بِالقُرآنِ؛ أَي: يُرَتِّلُهُ ويَقرَأُهُ.

---

(١) «مَعَانِي القُرآنِ لِلفَرَّاء» (٣/ ٢٥٠).

(٢) «تَفسِير المَاورِدِيِّ = النُّكَت والعُيُون» (٦/ ٢٣٣).

(٣) «مَقَايِيس اللُّغَة» (١/ ٧٧).

(٤) «المُفرَدَات فِي غَرِيبِ القُرآن» (ص٧٠).

(٥) «صَحِيح البُخَارِيِّ» (٥٠٢٤) «صَحِيحُ مُسلِم» (٧٩٢).

﴿وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا﴾ [الانشِقَاق:٢].

أَي: سَمِعَت أَمرَ رَبِّهَا بِالانشِقَاقِ وأَطَاعَتهُ، مِنَ الأُذْنِ وهُو الاستِمَاعُ.(١)

﴿وَحُقَّتۡ﴾ [الانشِقَاق:٢].

وحُـقَّ لَهَـا أَن تَسـتَمِعَ، وحُقَّـت وأَطَاعَـت، وطَاعَتُهَـا أَلَّا تَمتَنِـعَ مِـن شَيءٍ أَرَادَهُ اللهُ مِنهَـا، كَـمَا قَـالَ اللهُ ﷻ عَـنِ السَّـمَاوَاتِ والأَرضِ: ﴿قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ﴾ [فُصِّلَـت:١١] فَالسَّـمَاءُ مَخلُـوقٌ يَسـمَعُ ويُطِيـعُ.

وقَولُهُ ﴿وَحُقَّتۡ﴾ فِيهِ أَربَعَةُ أَوجُهٍ:

* **أَحَدُهُمَا:** حُقِّقَت لِطَاعَةِ رَبِّهَا. قَالَهُ ابنُ عَبَّاسٍ.(٢)

* **الثَّـانِي:** وحُـقَّ لَهَـا مَعنَـاهُ، حُـقَّ لَهَـا أَن تَفعَـلَ ذَلِـكَ. قَالَـهُ سَـعِيدُ بـنُ جُبَـيرٍ(٣) وقَتَـادَةُ.

* **ثَالِثًـا:** وحَكَـى ابـنُ الأَنبَـارِيِّ أَنَّ ﴿وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ﴾ جَـوابُ القَسَـمِ، والـواوُ زَائِـدَةٌ.(٤)

* **الرَّابِعُ:** حُقَّ لَهَا أَن تَنشَقَّ؛ لِشِدَّةِ الهَولِ وخَوفِ اللهِ.(٥)

(١) «تَفسِير البَغَوِيّ -طَيبَة» (٨/ ٣٧١).
(٢) «تَفسِير الطَّبَرَيِّ» (٢٤/ ٢٣٢).
(٣) «تَفسِير الطَّبَرَيِّ» (٢٤/ ٢٣٢).
(٤) «تَفسِير المَاورِدِيّ = النُّكَت والعُيُون» (٦/ ٢٣٤).
(٥) «تَفسِير ابنِ عَطِيَّةَ» (٥/ ٤٥٦).

﴿وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ﴾ [الانشِقَاق:٣].

أُزِيلَت عَن هَيئَتِهَا وبُدِّلَت.(١)

«مَدَّ»: المِيمُ والدَّالُ أَصلٌ واحِدٌ يَدُلُّ عَلَى جَرِّ شَيءٍ فِي طُولٍ، واتِّصَالِ شَيءٍ بِشَيءٍ فِي استِطَالَةٍ، تَقُولُ: «مَدَدتُ الشَّيءَ أَمُدُّهُ مَدًّا».(٢)

والمَدُّ: مَأخُوذٌ مِن «مَدَّ الشَّيءَ فَامتَدَّ»، ويَشهَدُ لِهَذَا المَعنَى قَولُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا﴾ [طه: ١٠٥] فَيُسَوِّي ظَهرَهَا، كَمَا قَالَ: ﴿قَاعًا صَفْصَفًا ۝١٠٦ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا﴾ [طه: ١٠٦، ١٠٧]

* وقَولُهُ جَلَّ ذِكرُهُ: ﴿وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ﴾ فِيهَا قَولَانِ:

* أَحَدُهُمَا: أَنَّ البَيتَ كَانَ قَبلَ الأَرضِ بِأَلفَي عَامٍ، فَمُدَّتِ الأَرضُ مِن تَحتِهِ.

عَن عَبدِ اللهِ بنِ عَمرٍو رضي الله عنهما قَالَ: كَانَ البَيتُ قَبلَ الأَرضِ بِأَلفَي سَنَةٍ، فَإِذَا الأَرضُ مُدَّت، قَالَ: «مِن تَحتِهِ مَدًّا».(٣)

قَالَ ابنُ كَثِيرٍ: وهَذَا غَرِيبٌ جِدًّا، وكَأَنَّهُ مِنَ الزَّامِلَتَينِ(٤) اللَّتَينِ أَصَابَهُمَا عَبدُ اللهِ بنُ عَمرٍو يَومَ اليَرمُوكِ، وكَانَ فِيهِمَا إِسرَائِيلِيَّاتٌ يُحَدِّثُ

(١) «مَعَانِي القُرآنِ وإِعرَابُهُ لِلزَّجَّاجِ» (٥/ ٣٠٣).
(٢) «مَقَايِيسُ اللُّغَة» (٥/ ٢٦٩).
(٣) قَالَ الحَاكِمُ: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الإِسنَادِ ولَم يُخَرِّجَاهُ، وصَحَّحَهُ الذَّهَبِيُّ «المُستَدرَك عَلَى الصَّحِيحَينِ لِلحَاكِمِ» (٣٩١١).
(٤) الزَّامِلَة: حَمَلُ البَعِيرِ الكَبِيرِ «تَكمِلَةُ المَعَاجِمِ العَرَبِيَّة» (٥/ ٣٦٠).

مِنهُمَا، وفِيهِمَا مُنكَرَاتٌ وغَرَائِبُ.(١)

* الثَّانِي: أَنَّهَا أَرضُ القِيَامَةِ. قَالَهُ مُجَاهِدٌ(٢) فَيُزَادُ فِي سَعَتِهَا يَومَ القِيَامَةِ؛ لِوُقُوفِ الخَلَائِقِ عَلَيهَا لِلحِسَابِ؛ لِأَنَّ خَلقَ الأَولِينَ والآخَرِينَ لَمَّا كَانُوا واقِفِينَ يَومَ القِيَامَةِ عَلَى ظَهرِهَا، فَلَا بُدَّ مِنَ الزِّيَادَةِ فِي طُولِهَا وعَرضِهَا.(٣) وهُو أَشبَهُ بِسِيَاقِ الكَلَامِ.

❁ وقَالَ الفَرَّاءُ: بُسِطَت ومُدِّدَت كَمَا يُمَدَّدُ الأَدِيمُ العُكَاظِيُّ.(٤)

لِأَنَّ الأَدِيمَ إِذَا مُدَّ؛ زَالَ كُلُّ انثِنَاءٍ فِيهِ واستَوى.(٥)

❁ وقَالَ ابنُ عَطِيَّةَ: «مَدُّ الأَرضِ»: هُو إِزَالَةُ جِبَالِهَا حَتَّى لَا يَبقَى فِيهَا عِوجٌ ولَا أَمتٌ، فَذَلِكَ مَدُّهَا.(٦)

فَيَمُدُّهَا اللهُ تَعَالَى مَدَّ الأَدِيمِ، حَتَّى تَصِيرَ واسِعَةً جِدًّا، تَسَعُ أَهلَ المَوقِفِ عَلَى كَثرَتِهِم، فَتَصِيرَ قَاعًا صَفصَفًا لَا تَرَى فِيهَا عِوجًا ولَا أَمتًا.(٧)

---

(١) «البِدَايَة والنِّهَايَة ط هَجَر» (٣/ ٤٧٦).
(٢) انظُر: «تَفسِير الطَّبَرَيِّ» (٢٤/ ٢٣٣).
(٣) «تَفسِير الرَّازِيِّ» (٣١/ ٩٧).
(٤) «مَعَانِي القُرآنِ لِلفَرَّاء» (٣/ ٢٥٠) أَدِيمٌ عُكَاظِيٌّ مَنسُوبٌ إِلَى عُكَاظ، وهُو مِمَّا حُمِلَ إِلَى عُكَاظ فَبِيعَ بِهَا.
(٥) «تَفسِير المَاورِدِيِّ = النُّكَت والعُيُون» (٦/ ٢٣٤).
(٦) «تَفسِير ابنِ عَطِيَّةَ» (٥/ ٤٥٦).
(٧) «تَفسِير السَّعدِيِّ» (ص٩١٧).

﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾ [الانشِقَاق:٤].

يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: وأَلقَتِ الأَرضُ مَا فِي بَطنِهَا مِنَ المَوتَى إِلَى ظَهرِهَا وتَخَلَّت مِنهُم إِلَى اللهِ.(١)

* وقَولُهُ جَلَّ ذِكرُهُ: ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾ فِيهِ ثَلَاثَةُ أَوجُهٍ:

* أَحَدُهُمَا: أَلقَت مَا فِي بَطنِهَا مِنَ المَوتَى، وتَخَلَّت عَمَّن عَلَى ظَهرِهَا مِنَ الأَحيَاءِ. قَالَهُ ابنُ عَبَّاسٍ، ومُجَاهِدٌ، وسَعِيدُ بنُ جُبَيرٍ، والجُمهُورُ.(٢)

عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ ﷺ، فِي قَولِهِ ﷻ: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝١ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ قَالَ: سَمِعتُ ﴿وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ﴾ قَالَ: «يَومَ القِيَامَةِ» ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾ قَالَ: «أَخرَجَت مَا فِيهَا مِنَ المَوتَى».(٣)

قَالَ الزَّمَخشَرِيُّ: خَلَت عَمَّا كَانَ فِيهَا، أَي: لَم تَتَمَسَّك مِنهُم بِشَيءٍ، وتَخَلَّت وخَلَت غَايَةَ الخُلُوِّ حَتَّى لَم يَبقَ شَيءٌ فِي بَاطِنِهَا، كَأَنَّهَا تَكَلَّفَت أَقصَى جَهدِهَا فِي الخُلُوِّ، كَمَا يُقَالُ: «تَكَرَّمَ الكَرِيمُ» و«تَرَحَّمَ الرَّحِيمُ» إِذَا بَلَغَا جُهدَهُمَا فِي الكَرَمِ والرَّحمَةِ، وتَكَلَّفَا فَوقَ مَا فِي طَبعِهِمَا.

---

(١) «تَفسِير الطَّبَرَيِّ» (٢٤/ ٢٣٣).

(٢) «تَفسِير ابنِ عَطِيَّةَ» (٥/ ٤٥٦) «مَفَاتِيحُ الغَيبِ» (٣١/ ٩٧).

(٣) «المُستَدرَك عَلَى الصَّحِيحَينِ لِلحَاكِمِ» (٣٩١٠) وقَالَ الحَاكِمُ: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرطِ الشَّيخَينِ ولَم يُخَرِّجَاهُ، ووافَقَهُ الذَّهَبِيُّ.
وذَكَرَهُ البُخَارِيُّ تَعلِيقًا «صَحِيح البُخَارِيِّ» (٤/ ١٠٦).

وأَذِنَت لِرَبِّهَا فِي إِلقَاءِ مَا فِي بَطنِهَا وتَخَلِّيهَا.[١]

* آيَاتٌ أُخرَى تَحمِلُ نَفسَ المَعنَى:

قَالَ جَلَّ ذِكرُهُ: ﴿وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ [الانفِطَار: ٤]
قَالَ ﷻ: ﴿بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ﴾ [العَادِيَات: ٩]
قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا﴾ [المُرسَلَات: ٢٥، ٢٦]

* الوجهُ الثَّانِي: أَلقَت مَا فِي بَطنِهَا مِن كُنُوزِهَا ومَعَادِنِهَا وتَخَلَّت مِمَّا عَلَى ظَهرِهَا مِن جِبَالِهَا وبِحَارِهَا، وهُو مَعنَى قَولِ قَتَادَةَ.[٢]

وعَلَى هَذَا الوجهِ يَكُونُ مَعنَى هَذِهِ الآيَةِ؛ كَقَولِ رَبِّنَا: ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ تُخرِجُ الكُنُوزَ الَّتِي فِيهَا، كُنُوزَ الذَّهَبِ والفِضَّةِ، ومَا فِيهَا مِنَ الجَواهِرِ، إِلَى آخِرِهِ، تُلقِيهِ فَتَطرَحُهُ عَلَى ظَهرِهَا، فَيَقُولُ الإِنسَانُ: فِي هَذَا قَتَلتُ فُلَانًا، وفِي مِثلِ هَذَا قَطَعتُ رَحِمِي، ثُمَّ يَترُكُونَهَا ويَمضُونَ.

ومَعنَى هَذِهِ الآيَةِ قَرِيبٌ مِن قَولِ رَبِّنَا: ﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ [التَّكوِير: ٤]

وقَالَ ابنُ عَطِيَّةَ: وهَذَا ضَعِيفٌ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ -يَقصِدُ إِخرَاجَ الكُنُوزِ- يَكُونُ وقتَ خُرُوجِ الدَّجَّالِ، وإِنَّمَا تُلقِي يَومَ القِيَامَةِ المَوتَى.

* الوجهُ الثَّالِثُ -وهُو أَعَمُّ-: أَنَّهَا أَلقَت مَا استُودِعَت، وتَخَلَّت مِمَّا استُحفِظَت؛ لِأَنَّ اللهَ استَودَعَهَا عِبَادَهُ أَحيَاءً وأَموَاتًا، واستَحفَظَهَا بِلَادَهُ

(١) «تَفسِير الزَّمَخشَرِيِّ» (٤/ ٧٢٦) «مَدَارِك التَّنزِيلِ وحَقَائِقُ التَّأوِيلِ» (٣/ ٦١٩).

(٢) «تَفسِير الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ٢٣٣).

مَـزَارِعَ وأقواتًـا.[١]

﴿وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ﴾ [الانشِقَاق:٥]

واسـتَمَعَت لِرَبِّهـا وأَطَاعَـت، وسَـمِعَتِ الأَرضُ -فِي إِلقَائِهَـا مَـا فِي بَطنِهَـا مِـنَ المَوتَـى إِلَى ظَهرِهَـا أَحيَـاءً- أَمـرَ رَبِّهَـا وأَطَاعَـت.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ﴾ [الانشِقَاق:٦]

قَولُـهُ تَعَـالَى ذِكـرُهُ: يَـا أَيُّهَـا الإِنسَـانُ إِنَّـكَ عَامِـلٌ إِلَى رَبِّـكَ عَمَـلًا فَمُلَاقِيـهِ بِـهِ، خَـيرًا كَانَ عَمَلُـكَ ذَلِـكَ أَو شَرًّا؛ يَقُـولُ: فَليَكُـن عَمَلُـكَ مِمَّـا يُنجِيَـكَ مِـن سَـخَطِهِ، ويُوجِـبُ لَـكَ رِضَـاهُ، ولَا يَكُـن مِمَّـا يُسـخِطُهُ عَلَيـكَ فتَهلِـكَ.[٢]

وقَـالَ ابـنُ عَطِيَّـةَ: والمَعنَـى: أَنَّـكَ عَامِـلٌ خَـيرًا أَو شَرًّا، وأَنـتَ لَا مَحَالَـةَ فِي ذَلِـكَ سَـائِرٌ إِلَى رَبِّـكَ؛ لِأَنَّ الزَّمَـنَ يَطِـيرُ بِعُمُـرِ الإِنسَـانِ؛ فَإِنَّـمَا هُـو مُـدَّةُ عُمُـرِهِ فِي سَـيرٍ حَثِيـثٍ إِلَى رَبِّـه، وهَـذِهِ آيَـةُ وعـظٍ وتَذكِـيرٍ، أَي: فَكِّـر عَـلَى حَـذَرٍ مِـن هَـذِهِ الحَـالِ، واعمَـل عَمَـلًا صَالِحًـا تَجِـدهُ.[٣]

والمُرَادُ بِالإِنسَانِ فِي هَذِهِ الآيَةِ العُمُومُ بِالإِجمَاعِ.[٤]

---

(١) «تَفسِير المَاوردِيِّ = النُّكَت والعُيُون» (٦/ ٢٣٥).

(٢) «تَفسِير الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ٢٣٥).

(٣) «تَفسِير ابنِ عَطِيَّةَ» (٥/ ٤٥٧).

(٤) تَفسِيرُ أَطَّفَيِّش، نَقلاً عَن مَوسُوعَةِ الإِجمَاعِ فِي التَّفسِير ص ٦١٨.

۞ وقَالَ البَغَوِيُّ: مَعنَى الآيَةِ: إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّت؛ لَقِيَ كُلُّ كَادِحٍ مَا عَمِلَهُ.(١)

* مَعنَى الكَدحِ:

«كَدَحَ»: الكَافُ والدَّالُ والحَاءُ أَصلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى تَأثِيرٍ فِي شَيءٍ.

ومِن هَذَا القِيَاسِ: كَدَحَ إِذَا كَسَبَ، يَكدَحُ كَدحًا فَهُو كَادِحٌ.

۞ قَالَ اللهُ عَزَّ وعَلَا: ﴿إِنَّكَ كَادِحٌ﴾ [الانشِقَاق:٦]، أَي: كَاسِبٌ.(٢)

والكَدحُ فِي كَلَامِ العَرَبِ: العَمَلُ والكَسبُ.(٣)

الكَدحُ: جُهدُ النَّفسِ فِي العَمَلِ والكَدُّ فِيهِ حَتَّى يُؤَثِّرَ فِيهَا، مِن: «كَدَحَ جِلدَهُ»، إِذَا خَدَشَهُ.(٤)

و«الكَادِحُ»: العَامِلُ بِشِدَّةٍ وسُرعَةٍ واجتِهَادٍ مُؤَثِّرٍ، ومِنهُ مَا جَاءَ عَن عَبدِ اللهِ ابنِ مَسعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَن سَأَلَ النَّاسَ ولَهُ مَا يُغنِيهِ، جَاءَ يَومَ القِيَامَةِ ومَسأَلَتُهُ فِي وجهِهِ خُمُوشٌ، أَو خُدُوشٌ، أَو كُدُوحٌ».(٥)

---

(١) «تَفسِير البَغَوِيّ -طَيبَة» (٨/ ٣٧١).

(٢) «مَقَايِيس اللُّغَة» (٥/ ١٦٧).

(٣) «تَفسِير القُرطُبِيِّ» (١٩/ ٢٧١).

(٤) «تَفسِير الزَّمَخشَرِيِّ = الكَشَّاف عَن حَقَائِقِ غَوامِضِ التَّنزِيل» (٤/ ٧٢٦).

(٥) «سُنَنُ التِّرمِذِيِّ ت بَشَّار» (٦٥٠) وحَسَّنَهُ التِّرمِذِيُّ، وانظُر: «الجَامِع لِعُلُومِ الإِمَامِ أَحمَدَ -عِلَل الحَدِيثِ» (١٤/ ٣٩٠).

وقَولُهُ جَلَّ ذِكرُهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ﴾[الانشِقَاق:٦]

فِيهِ قَولَانِ:

* أَحَدُهُمَا: إِنَّكَ سَاعٍ إِلَى رَبِّكَ سَعيًا حَتَّى تُلَاقِيَ رَبَّكَ. قَالَهُ يَحيَى ابنُ سَلَّامٍ، ومِنهُ قَولُ الشَّاعِرِ:

ومَضَت بَشَاشَةُ كُلِّ عَيشٍ صَالِحٍ وبَقِيتُ أَكدَحُ لِلحَياةِ وأَنصَبُ

أَي: أَعمَلُ لِلحَيَاةِ.

* ويَحتَمِلُ قَولًا ثَانِيًا: أَنَّ الكَادِحَ هُو الَّذِي يُكدِحُ نَفسَهُ فِي الطَّلَبِ إِن تَيَسَّرَ أَو تَعَسَّرَ.[١]

وجَائِزٌ أَن يَكُونَ مَعنَاهُ: أَنِ اجعَل كَدحَكَ إِلَى رَبِّكَ فِي أَن تَسعَى فِي طَاعَتِهِ وطَلَبِ مَرضَاتِهِ؛ فَإِنَّكَ مُلَاقِيهِ لَا مَحَالَةَ؛ أَي: تُلَاقِي جَزَاءَ عَمَلِكَ: إِن خَيرًا فَخَيرٌ، وإِن شَرًّا فَشَرٌّ.[٢]

الكَادِحُ: هُو السَّاعِي، وهَذَا فِي كُلِّ إِنسَانٍ، تَرَاهُ أَبَدًا سَاعِيًا إِمَّا فِي عَمَلِ الخَيرِ، أَو عَمَلِ الشَّرِّ، أَو فِيمَا يَنفَعُهُ أَو فِيمَا يَضُرُّهُ، حَتَّى لَو هَمَّ بِتَركِ السَّعيِ لَم يَقدِر؛ لِأَنَّ تَركَهُ السَّعيَ نَوعٌ مِنَ السَّعيِ.[٣]

---

(١) «تَفسِيرُ المَاوردِيِّ = النُّكَت والعُيُون» (٦/ ٢٣٥).

(٢) الأَولَى أَن يُقَالَ: وإِن شَرًّا فَأَمرُهُ إِلَى اللهِ.

(٣) «تَفسِيرُ المَاتُرِيدِيِّ = تَأوِيلَات أَهلِ السُّنَّة» (١٠/ ٤٧١).

«فَيَا أَيُّهَا الإِنسَانُ» الَّذِي خَلَقَهُ رَبُّهُ بِإِحسَانٍ، والَّذِي مَيَّزَهُ بِهَذِهِ «الإِنسَانِيَّةِ» الَّتِي تُفرِدُهُ فِي هَذَا الكَونِ بِخَصَائِصَ كَانَ مِن شَأنِهَا أَن يَكُونَ أَعرَفَ بِرَبِّهِ، وأَطوعَ لِأَمرِهِ مِنَ الأَرضِ والسَّمَاءِ.

وقَد نَفَخَ فِيهِ مِن رُوحِهِ، وأَودَعَهُ القُدرَةَ عَلَى تَلَقِّي قَبَسٍ مِن نُورِهِ، والتَّطَهُّرَ بِهَا أَو الارتِفَاعَ إِلَى غَيرِ حَدٍّ، حَتَّى يَبلُغَ الكَمَالَ المُقَدَّرَ لِجنسِهِ، وآفَاقُ هَذَا الكَمَالِ عَالِيَةٌ بَعِيدَةٌ!

يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ.. إِنَّكَ تَقطَعُ رِحلَةَ حَيَاتِكَ عَلَى الأَرضِ كَادِحًا، تَحمِلُ عِبئَكَ، وتَجهَدُ جَهدَكَ، وتَشُقُّ طَرِيقَكَ؛ لِتَصِلَ فِي النِّهَايَةِ إِلَى رَبِّكَ؛ فَإِلَيهِ المَرجِعُ وإِلَيهِ المَآبُ بَعدَ الكَدِّ والكَدحِ والجِهَادِ.

يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ.. إِنَّكَ كَادِحٌ حَتَّى فِي مَتَاعِكَ.. فَأَنتَ لَا تَبلُغُهُ فِي هَذِهِ الأَرضِ إِلَّا بِجُهدٍ وكَدٍّ.

إِن لَّم يَكُن جُهدَ بَدَنٍ وكَدَّ عَمَلٍ، فَهُو جُهدُ تَفكِيرٍ وكَدُّ مَشَاعِرَ.

الواجِدُ والمَحرُومُ سَواءٌ.. إِنَّمَا يَختَلِفُ نَوعُ الكَدحِ ولَونُ العَنَاءِ.

وحَقِيقَةُ الكَدحِ هِيَ المُستَقِرَّةُ فِي حَيَاةِ الإِنسَانِ، ثُمَّ النِّهَايَةُ فِي آخِرِ المَطَافِ إِلَى اللهِ سَواءٌ.

يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ.. إِنَّكَ لَا تَجِدُ الرَّاحَةَ فِي الأَرضِ أَبَدًا.. إِنَّمَا الرَّاحَةُ

هُنَاكَ.. لِمَن يُقَدِّمُ لَهَا بِالطَّاعَةِ والاستِسلَامِ.[١]

﴿فَمُلَٰقِيهِ﴾ [الانشِقَاق:٦]

أَي: فَمُلَاقٍ رَبَّكَ، ومَعنَاهُ: فَيُجَازِيكَ بِعَمَلِكَ ويُكَافِئُكَ عَلَى سَعيِكَ.

وعَلَى هَذَا فَكِلَا القَولَينِ مُتَلَازِمٌ؛[٢] كَقَولِهِ جَلَّ ذِكرُهُ: ﴿وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾، [إبراهيم:١٢]، وقَولِهِ: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ﴾ [البقرة:٢٢٤]، وعَن عَدِيِّ بنِ حَاتِمٍ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا مِنكُم مِن أَحَدٍ إِلَّا وسَيُكَلِّمُهُ اللهُ يَومَ القِيَامَةِ، لَيسَ بَينَ اللهِ وبَينَهُ تُرجُمَانٌ، ثُمَّ يَنظُرُ فَلَا يَرَى شَيئًا قُدَّامَهُ، ثُمَّ يَنظُرُ بَينَ يَدَيهِ فَتَستَقبِلُهُ النَّارُ، فَمَنِ استَطَاعَ مِنكُم أَن يَتَّقِيَ النَّارَ ولَو بِشِقِّ تَمرَةٍ».[٣]

*** آيَاتٌ فِي مُلَاقَاةِ الجَزَاءِ:**

قَالَ جَلَّ ذِكرُهُ: ﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ وَأَخَّرَتۡ﴾ [الانفِطَار: ٥]
قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّآ أَحۡضَرَتۡ﴾ [التَّكوِير: ١٤]
قَالَ سُبحَانَهُ وتَعَالَى: ﴿يُنَبَّؤُاْ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذِۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [القِيَامَة: ١٣]

وعَن سَهلِ بنِ سَعدٍ، قَالَ: جَاءَ جِبرِيلُ عليه السلام إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «يَا مُحَمَّدُ، عِش مَا شِئتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، وأَحبِب مَن أَحبَبتَ فَإِنَّكَ مَفَارِقُهُ،

(١) «فِي ظِلَالِ القُرآنِ» (٦/ ٨٦٧).

(٢) «تَفسِير ابنِ كَثِير ت سَلَامَة» (٨/ ٣٥٦).

(٣) «صَحِيح البُخَارِيِّ» (٦٥٣٩).

واعمَل مَا شِئتَ فَإِنَّكَ مَجزِيٌّ بِهِ» ثُمَّ قَالَ: «يَا مُحَمَّدُ، شَرَفُ المُؤمِنِ قِيَامُ اللَّيلِ وعِزُّهُ استِغنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ».[(١)،(٢)]

والإِنسَانُ لَا يَنفَكُّ فِي هَذِهِ الحَيَاةِ الدُّنيَوِيَّةِ مِن أَولِهَا إِلَى آخِرِهَا عَنِ الكَدحِ والمَشَقَّةِ والتَّعَبِ، ولَمَّا كَانَت كَلِمَةُ «إِلَى» لانتِهَاءِ الغَايَةِ، فَهِيَ تَدُلُّ عَلَى وُجُوبِ انتِهَاءِ الكَدحِ والمَشَقَّةِ بِانتِهَاءِ هَذِهِ الحَيَاةِ، وأَن يَكُونَ الحَاصِلُ بَعدَ هَذِهِ الدُّنيَا مَحضَ السَّعَادَةِ والرَّحمَةِ، وذَلِكَ مَعقُولٌ، فَإِنَّ نِسبَةَ الآخِرَةِ إِلَى الدُّنيَا كَنِسبَةِ الدُّنيَا إِلَى رَحِمِ الأُمِّ، فَكَمَا صَحَّ أَن يُقَالَ: يَا أَيُّهَا الجَنِينُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى أَن تَنفَصِلَ مِنَ الرَّحِمِ، فَكَانَ مَا بَعدَ الانفِصَالِ عَنِ الرَّحِمِ بِالنِّسبَةِ إِلَى مَا قَبلَهُ خَالِصًا عَنِ الكَدحِ والظُّلمَةِ، فَنَرجُو مِن فَضلِ اللهِ أَن يَكُونَ الحَالُ فِيمَا بَعدَ المَوتِ كَذَلِكَ.[(٣)]

ولَمَّا كَانَ مِنَ المَعلُومِ أَنَّ عَبِيدَ المَلِكِ إِذَا عُرِضُوا عَلَيهِ، كَانَ فِيهِمُ المَقبُولُ والمَردُودُ؛ بِسَبَبِ أَنَّ كَدحَهُم تَارَةً يَكُونُ حَسَنًا، وتَارَةً يَكُونُ سَيِّئًا، قَالَ مُعَرِّفًا أَنَّ الأَمرَ فِي لِقَائِهِ كَذَلِكَ عَلَى مَا نَعهَدُ، فَمَن كَانَ مَقبُولًا أُعطِيَ

(١) «المُستَدرَك عَلَى الصَّحِيحَينِ لِلحَاكِم» (٧٩٢١) وقَالَ الحَاكِمُ: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الإِسنَادِ ولَم يُخَرِّجَاهُ، ووافَقَهُ الذَّهَبِيُّ فِي التَّلخِيصِ. وحسَّنَهُ العِراقيُّ.

(٢) قَالَ أَبُو نُعَيمٍ فِي الحِليَةِ: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ مِن حَدِيثِ مُحَمَّدِ بنِ عُيَينَةَ، تَفَرَّدَ بِهِ زَافِرُ بنُ سُلَيمَانَ، وعَنهُ مُحَمَّدُ بنُ حُمَيدٍ. وقَالَ ابنُ الجَوزِيِّ: هَذَا حَدِيثٌ لَا يَصِحُّ عَن رَسُولِ اللهِ ﷺ.

وذَكَرَهُ المُنذِرِيُّ فِي التَّرغِيبِ، ثُمَّ قَالَ: رَواهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الأَوسَطِ بِإِسنَادٍ حَسَنٍ. «كَشف الخَفَاء ت هِندَاوِي» (٢/ ٧٠).

(٣) «تَفسِير الرَّازِيِّ» (٣١/ ٩٨).

كِتَابُ حَسَنَاتِهِ بِيَمِينِهِ؛ لِأَنَّهُ كَانَ فِي الدُّنيَا مِن أَهلِ اليَمِينِ أَيِ الدِّينِ المَرضِيِّ، ومَن كَانَ مَردُودًا أُعطِيَ كِتابَهُ بِشِمَالِهِ؛ لِأَنَّهُ كَانَ فِي الدُّنيَا مَعَ أَهلِ الشِّمَالِ وهُو الدِّينُ البَاطِلُ الَّذِي يَعمَلُ مِن غَيرِ إِذنِ المَالِكِ، فَكَأَنَّهُ يَفعَلُ مِن ورَائِهِ، فَتَرجَمَ هَذَا الغَرَضَ بِقَولِهِ سُبحَانَهُ وتَعَالَى مُفَصِّلًا لِلإِنسَانِ المُرَاد بِهِ الجِنسُ، جَامِعًا لِلضَّمِيرِ بَعدَ أَن أَفرَدَهُ تَنصِيصًا عَلَى حَشرِ كُلِّ فَردٍ.(١)

ثُمَّ ذَكَرَ اللهُ -جَلَّ ذِكرُهُ- نَتِيجَةَ الكَدحِ فَقَالَ:

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشِقَاق:٧-٨].

وكِتَابُهُ هُو دِيوانُ أَعمَالِهِ، وصَحِيفَةُ حِسَابِهِ الَّتِي كَتَبَتهَا المَلَائِكَةُ وهُو لَا يَدرِي ولَا يَشعُرُ.(٢)

۞ قَالَ قَتَادَةُ رَحِمَهُ اللهُ: إِنَّ كَدحَكَ يَا ابنَ آدَمَ لَضَعِيفٌ، فَمَنِ استَطَاعَ أَن يَكُونَ كَدحُهُ فِي طَاعَةِ اللهِ فَليَفعَل، ولَا قُوةَ إِلَّا بِاللهِ.(٣)

وذَكَرَ اللهُ عَلَامَةَ تَكرِيمِ أَهلِ الإِيمَانِ أَنَّهُم أُعطُوا كِتَابَهُم بِيَمِينِهِم، وفِي هَذَا عَلَامَةٌ عَلَى شَرَفِ اليَمِينِ، واستِحبَابِ استِعمَالِهَا عِندَ مَا يَكرُمُ ويَشرُفُ، وفِي نَظِيرِ هَذِهِ الآيَةِ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [الإِسرَاء: ٧١].

(١) «نَظمُ الدُّرَر فِي تَنَاسُبِ الآيَاتِ والسُّور» (٢١/ ٣٤٠).

(٢) انظُر: «نَظمُ الدُّرَر فِي تَنَاسُبِ الآيَاتِ والسُّور» (٢١/ ٣٤٠).

(٣) «تَفسِير الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ٢٣٥).

وهَـذَا المَعنَـى فِي الآيَـةِ ظَاهِرٌ فِي قَولِـهِ تَعَـالَى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طـه: ١٧] فقَـد كَانَ يُمسِـكُ عَصًـا بِيَمِينِـهِ، وفِي قَولِـهِ تعَـالَى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [العَنكَبُـوت: ٤٨]، فَجَعَـلَ الخَـطَّ والكِتَابَـةَ بِاليَمِـينِ؛ وهَـذَا هُـو الأَقـرَبُ إِلَى الفِطـرَةِ، وهُـو السُّـنَّةُ؛ لِأَنَّ الكِتَابَـةَ شَرِيفَـةٌ.

وأَمَّـا النَّجَاسَـاتُ والقَـذَارَةُ والأَذَى، فَتُسـتَعمَلُ فِيهَـا الشِّـمَالُ، ويُكـرَهُ اسـتِعمَالُ اليَمِـينِ فِيهَـا؛ لِقَـولِ عَائِشَـةَ[١] عَـنِ النَّبِـيِّ ﷺ: «وكَانَـتِ اليُسَـرى لِخَلَائِـهِ، ومَـا كَانَ مِـن أَذًى».[٢]

﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشِقَاق:٨].

قَاعِدَةٌ فِي التَّفسِيرِ:

«سَـوفَ» و«عَسَـى» مِـنَ اللـهِ تَعَـالَى واجِـبٌ؛ كَقَـولِ القَائِـلِ: «اتَّبِعنِـي، فَسَـوفَ تَجِـدُ خَـيرًا»؛ فَإِنَّـهُ لَا يُرِيـدُ الشَّـكَّ، وإِنَّـمَا يُرِيـدُ تَحقِيـقَ الـكَلَامِ.[٣]

عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: «عَسَى» مِنَ اللـهِ واجِبٌ.[٤]

(١) «مُسنَد أَحمَد» (٢٦٢٨٣).

(٢) «التَّفسِير والبَيَان لِأَحكَامِ القُرآن» (٤/ ٢٢١٠).

(٣) انظُر: «تَفسِير مُقَاتِلِ بنِ سُلَيمَان» (١/ ٤٠٢)، «العَين» (٢/ ٢٠٠)، «مَعَانِي القُرآنِ لِلفَرَّاء» (١/ ٤٥١)، «تَفسِير المَاتُرِيدِيِّ = تَأوِيلَات أَهلِ السُّنَّةِ» (١٠/ ٥٥٥)، «تَفسِير الرَّازِيِّ» (٣١/ ٩٨) «تَفسِير الخَازِن لِبَابِ التَّأوِيل فِي مَعَانِي التَّنزِيل» (٤/ ٤٠٨)، «اللُّبَاب فِي عُلُومِ الكِتَاب» (٢٠/ ٢٣٢).

(٤) «تَفسِير ابنِ أَبِي حَاتِم» (٣/ ٩٠٥).

قَالَ ابنُ زَيدٍ، «عَسَى» مِنَ اللهِ واجِبٌ ﴿فَعَسَى أُولَئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهتَدِينَ﴾: فَعَسَى أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُفلِحِينَ.(١)

۞ وقَالَ الزَّجَّاجُ: «عَسَى» تَرَجٍّ، ومَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَن يُرجَى مِن رَحمَتِهِ فَبِمَنزِلَةِ الواقِعِ كَذَلِكَ الظَّنُّ بِأَرحَمِ الرَّاحِمِينَ.(٢)

۞ وقَالَ ابنُ كَيسَانَ: «عَسَى» مِنَ اللهِ واجِبٌ، ومِنَ العِبَادِ ظَنٌّ؛ لِأَنَّ العَبدَ لَيسَ لَهُ فِيمَا يَستَقبِلُ عِلمٌ نَافِذٌ إِلَّا بِدَلَائِلِ مَا شَاهَدَ، وقَد يَجُوزُ أَن تَبطُلَ الشَّواهِدُ لَهُ عَلَى مَا لَم يَكُن فَلَا يَكُونُ مَا يُظَنُّ، وقَدِ اجتَهَدَ فِي «عَسَى» بِأَغلَبِ الظَّنِّ عَلَيهِ وهُو مُنتَهَى عِلمِهِ فِيمَا لَم يَقَع، واللهُ تَعَالَى عِلمُهُ بِمَا لَم يَكُن كَعِلمِهِ بِمَا كَانَ، فَلَا يَكُونُ فِي خَبَرِهِ «عَسَى» إِلَّا عَلَى عِلمِهِ؛ فَهِيَ واجِبَةٌ مِن قِبَلِهِ عَلَى هَذَا.(٣)

۞ وقَالَ السَّمعَانِيُّ: و«عَسَى» مِنَ اللهِ واجِبٌ؛ لِأَنَّهُ لِلإِطمَاعِ، واللهُ تَعَالَى إِذَا أَطمَعَ عَبدًا أَوجَبَ لَهُ وأَوصَلَهُ إِلَيهِ.(٤)

۞ وإِن قَالَ قَائِلٌ: فَلِمَاذَا لَم يَقُلِ اللهُ: «فَسَوفَ»، أَو يَأتِي بِكَلِمَةٍ جَازِمَةٍ لَا احتِمَالَ فِيهَا؟

(١) «تَفسِير الطَّبَرِيِّ» (٢٣/ ٢٣٢).
(٢) «مَعَانِي القُرآنِ وإِعرَابُهُ لِلزَّجَّاج» (٢/ ٩٥).
(٣) «تهذِيب اللُّغَة» (٣/ ٥٥).
(٤) «تفسِيرِ السَّمعَانِيِّ» (١/ ٤٧٠).

۞ قَالَ الرَّاغِبُ: ذَكَرَ لَفظَ «عَسَى»؛ لِئَلَّا يَركَنُوا كُلَّ الرُّكُونِ، ولِيَكُونُوا مِمَّن قَالَ فِيهِم: ﴿ويَرجُونَ رَحمَتَهُ ويَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾.(١)

مَا هُو الحِسَابُ اليَسِيرُ؟

تُعرَضُ عَلَيهِ حَسَنَاتُهُ وسَيِّئَاتُهُ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: سَيِّئَاتُكَ قَد غُفِرَت، وتُجَازَى بِحَسَنَاتِكَ.

۞ عَن عَائِشَةَ ﵂ قَالَت: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَيسَ أَحَدٌ يُحَاسَبُ إِلَّا هَلَكَ» قَالَت: قُلتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ، أَلَيسَ يَقُولُ اللهُ ﷻ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشِقَاق: ٨] قَالَ: «ذَاكَ العَرضُ، يُعرَضُونَ، ومَن نُوقِشَ الحِسَابَ هَلَكَ».(٢)

وجهُ مُعَارَضَةِ عَائِشَةَ أَنَّ لَفظَ الحَدِيثِ عَامٌّ فِي تَعذِيبِ كُلِّ مَن حُوسِبَ، ولَفظُ الآيَةِ دَالٌّ عَلَى أَنَّ بَعضَهُم لَا يُعَذَّبُ، وطَرِيقُ الجَمعِ أَنَّ المُرَادَ بِالحِسَابِ فِي الآيَةِ العَرضُ، وهُو إِبرَازُ الأَعمَالِ وإِظهَارُهَا، فَيُعَرِّفُ صَاحِبَهَا بِذُنُوبِهِ ثُمَّ يَتَجَاوزُ عَنهُ.(٣)

۞ وعَنِ ابنِ عُمَرَ: سَمِعتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي النَّجوى يَقُولُ: «يُدنَى المُؤمِنُ مِن رَبِّهِ حَتَّى يَضَعَ عَلَيهِ كَنَفَهُ فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ، تَعرِفُ ذَنبَ كَذَا؟ يَقُولُ:

(١) «تَفسِير الرَّاغِبِ الأَصفَهَانِيّ» (٣/ ١٤١٣).
(٢) «صَحِيح البُخَارِيِّ» (٤٩٣٩)، «صَحِيح مُسلِمٍ» (٢٨٧٦).
(٣) «فَتح البَارِي لِابنِ حَجَرٍ» (١١/ ٤٠٢).

أَعرِفُ، يَقُولُ: رَبِّ أَعرِفُ «مَرَّتَينِ»، فَيَقُولُ: سَتَرتُهَا فِي الدُّنيَا، وأَغفِرُهَا لَكَ اليَومَ، فَيُعطَى صَحِيفَةَ حَسَنَاتِهِ، وأَمَّا الكُفَّارُ والمُنَافِقُونَ فَيُنَادَى بِهِم عَلَى رُءُوسِ الخَلَائِقِ: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هُود: ١٨][١].

وقَالَ ابنُ زَيدٍ فِي قَولِهِ: ﴿فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا﴾ [الانشِقَاق: ٨] قَالَ: الحِسَابُ اليَسِيرُ: الَّذِي يَغفِرُ ذُنُوبَهُ، ويَتَقَبَّلُ حَسَنَاتِهِ، ويَسِيرُ الحِسَابِ: الَّذِي يُعفَى عَنهُ، وقَرَأَ: ﴿وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ﴾ [الرَّعد: ٢١] وقَرَأَ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِ﴾ [الأحقَاف: ١٦].[٢]

﴿وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا﴾ [الانشِقَاق: ٩]

يَرجِعُ إِلَى أَهلِهِ مِنَ الحُورِ العِينِ، أَو أَهلِهِ مِمَّن سَبَقَهُ إِلَى الجَنَّةِ.

وهَذَا أَعظَمُ شُعُورٍ، ولَا يُقَاسُ بِهِ سُرُورٌ فِي الدُّنيَا، ولَا شَبِيهَ لَهُ.

هَذِهِ هِيَ السَّعَادَةُ الأَبَدِيَّةُ.. هَذِهِ نِهَايَةُ المَآسِي.. هَذِهِ نِهَايَةُ الكَبَدِ: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ﴾ [البَلَد: ٤]، هُنَا انتَهَى الكَبَدُ.

---

(١) «صَحِيح البُخَارِيِّ» (٤٦٨٥)، «صَحِيح مُسلِمٍ» (٢٧٦٨).

(٢) «تَفسِير الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ٢٣٨).

۞ قِيلَ لِرَاهِبٍ: «ومَتَى يَجِدُ العَبدُ الرَّاحَةَ؟» قَالَ: «إِذَا وضَعَ قَدَمَهُ فِي الجَنَّةِ»(١).

۞ وقَالَ أَبُو مَنصُورٍ المَاتُرِيدِيُّ: وهَذَا لِأَنَّ المُسلِمَ إِنَّما تَأَهَّلَ عَلَى قَصدِ تَحصِيلِ النَّفعِ لِنَفسِهِ فِي العَاقِبَةِ، وتَكُونُ مُعِينَةً لَهُ عَلَى أُمُورِ الآخِرَةِ؛ فَحَصَلَ لَهُ ذَلِكَ النَّفعُ بِإِحرَازِهِ السُّرُورَ الدَّائِمَ بِذَلِكَ، والكَافِرُ تَأَهَّلَ لِلمَنَافِعِ الحَاضِرَةِ وسُرَّ بِهَا سُرُورًا، وأَنسَاهُ السُّرُورُ أَمرَ العَاقِبَةِ؛ فَحَقَّ عَلَيهِ العَذَابُ؛ لِتَركِهِ السَّعيَ لِلآخِرَةِ، لَا لِسُرُورِهِ بِأَهلِهِ، وهُوَ كَقَولِهِ تَعَالَى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلۡنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصۡلَىٰهَا مَذۡمُومٗا مَّدۡحُورٗا﴾ [الإسراء:١٨] الآيَة، والكُلُّ مِنَّا يُرِيدُ العَاجِلَةَ ولَا بُدَّ لَهُ مِنهَا، لَكِنَّ الَّذِي يَصلَى جَهَنَّمَ هُوَ الَّذِي ابتَغَى العَاجِلَةَ ابتِغَاءً أَنسَاهُ ذَلِكَ عَنِ الآخِرَةِ، فَكَذَلِكَ المَسرُورُ بِأَهلِهِ إِنَّمَا حَلَّت بِهِ النِّقمَةُ لَمَّا مَنَعَهُ السُّرُورُ عَنِ النَّظَرِ لِلعَاقِبَةِ، لَا لِنَفسِ السُّرُورِ؛ إِذ كُلُّ مُتَأَهِّلٍ لَا يَخلُو عَنِ السُّرُورِ بِأَهلِهِ، واللهُ أَعلَمُ.(٢)

---

(١) «الزُّهدُ والرَّقَائِقُ لِلخَطِيبِ البَغدَادِيِّ» (ص٩٦).

(٢) «تَفسِيرُ المَاتُرِيدِيِّ» (١٠/ ٤٧٣).

* وورَدَ اسمُ السُّرُورِ فِي القُرآنِ فِي مَوضِعَينِ:

المَوضِعُ الأَوَّلُ: قَولُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ [الإنسَان: ١١].

والمَوضِعُ الثَّانِي: قَولُهُ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا﴾ [الانشِقَاق: ٧-٩][1].

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ﴾ [الانشِقَاق: ١٠]

قَالَ مُجَاهِدٌ: تُختَلَعُ يَدُهُ مِن ورَاءِ ظَهرِهِ[2].

وقَالَ الفَرَّاءُ: يُقالُ: إِنَّ أَيمَانَهم تُغَلُّ إِلَى أَعناقِهِم، وتَكُونُ شَمَائِلُهُم ورَاءَ ظُهُورِهِم[3].

وقَالَ الثَّعلَبِيُّ: تُغَلُّ يَدُهُ اليُمنَى إِلَى عُنُقِهِ، وتُجعَلُ يَدُهُ الشِّمَالُ ورَاءَ ظَهرِهِ. فَيُؤتَى كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ مِن ورَاءِ ظَهرِهِ[4].

فَإِن قِيلَ أَلَيسَ فِي سُورَةِ الحَاقَّةِ: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ﴾ [الحَاقَّة:٢٥] ولَم يَذكُرِ الظَّهرَ؟!.

(١) «مَدَارِج السَّالِكِينَ بَينَ مَنَازِلِ إِيَّاكَ نَعبُدُ وإِيَّاكَ نَستَعِينُ» (٣/ ١٥٣).
(٢) «تَفسِير الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ٢٤٠) «تَفسِير الثَّعلَبِيِّ» (٢٩/ ١٠٥).
(٣) «مَعَانِي القُرآنِ لِلفَرَّاءِ» (٣/ ٢٥٠).
(٤) «تَفسِير الثَّعلَبِيِّ» (٢٩/ ١٠٥).

* **فَالجَوابُ مِن وجهَينِ:**

* **أَحَدُهُمَا**: يَحتَمِلُ أَن يُؤتَى بِشِمَالِهِ ورَاءَ ظَهرِهِ.

* **وثَانِيهَا**: أَن يَكُونَ بَعضُهُم يُعطَى بِشِمَالِهِ، وبَعضُهُم مِن وراءِ ظَهرِهِ.(١)

وقِيلَ: يُفعَلُ بِهِم ذَلِكَ؛ لِأَنَّهم نَبَذُوا كِتَابَ اللهِ ورَاءَ ظُهُورِهِم.(٢)

والإِيتَاءُ مِن ورَاءِ الظَّهرِ يَحتَمِلُ وجهَينِ:

* **أَحَدُهُمَا**: أَنِ استُقذِرَ مِنهُ؛ لِخُبثِ مَنظَرِهِ؛ فَأُوتِيَ مِن ورَاءِ ظَهرِهِ؛ مُجَازَاةً لَهُ بِمَا سَبَقَ مِن صُنعِهِ، وصُنعُهُ أَنَّهُ نَبَذَ كِتَابَ اللهِ ورَاءَ ظَهرِهِ، وتَرَكَ أَوامِرَهُ ونَواهِيهِ كَذَلِكَ ورَاءَ ظَهرِهِ؛ فَجُوزِيَ -أَيضًا- بِدَفعِ كِتَابِهِ ورَاءَ ظَهرِهِ، ودَفَعَ إِلَى المُؤمِنِ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ؛ لِمَا فِي كِتَابِهِ مِنَ المَحَاسِنِ والبَرَكَاتِ، واليَمِينُ أُنشِئَت؛ لِتُستَعمَلَ فِي البَرَكَاتِ وأَنواعِ الخَيرِ، وسُمِّيَت -أَيضًا- بِاسمٍ مُشتَقٍّ مِنَ اليُمنِ والبَرَكَةِ، والشِّمَالُ جُعِلَت لِتُستَعمَلَ فِي الأَقذَارِ والأَنجَاسِ، وسَبَقَ هَذَا المَعنَى، فَدُفِعَ كِتَابُهُ مِن خُبثِ عَمَلِهِ إِلَيهِ بِشِمَالِهِ أَيضًا أَو مِن ورَاءِ ظَهرِهِ.

ولِأَنَّ أَهلَ الإِيمَانِ قَبِلُوا أَمرَ اللهِ -تَعَالَى- ونَواهِيهِ واستَقبَلُوهَا بِالتَّعظِيمِ والتَّبجِيلِ، ومَن أَرَادَ تَعظِيمَ الآخَرِ فِي الشَّاهِدِ وتَبجِيلَهُ، أَخَذَهُ بِيَمِينِهِ، فَجُوزُوا فِي الآخِرَةِ بِالتَّعظِيمِ لَهُم بِأَن أُوتُوا كُتُبَهُم بِأَيمَانِهِم، وأَمَّا

(١) «تَفسِير الرَّازِيِّ» (٣١/ ٩٩).

(٢) «تَفسِير الأَلُوسِيِّ = رُوح المَعَانِي» (١٥/ ٢٨٩).

الكَافِرُ فَإِنَّهُ استَخَفَّ بِأَمرِ اللهِ -تَعَالَى- وطَاعَتِهِ؛ فَجُوزِيَ فِي الآخِرَةِ بِأَن أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ الَّتِي تُستَعمَلُ فِي الأَقذَارِ؛ إِهَانَةً لَهُ وتَحقِيرًا.(١)

﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا﴾ [الانشِقَاق: ١١]

الثُّبُورُ: الهَلَاكُ والفَسَادُ، وهُو جَامِعٌ لِأَنواعِ المَكَارِهِ(٢) فيَقُولُ: يَا ثُبُورَاهُ، تَعَالَ فَهَذَا أَوانُكَ.(٣)

فَيدعُو عَلَى نَفسِهِ بِالهَلَاكِ، فَيُقَالُ لَهُ: ﴿لَّا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ [الفُرقَان:١٤]، لَا تَدعُ عَلَى نَفسِكَ بِالهَلَاكِ مَرَّةً واحِدَةً، بَلِ ادعُ هَلَاكًا كَثِيرًا.

والمَعنَى: أَنَّهُ لَمَّا أُوتِيَ كِتَابَهُ مِن غَيرِ يَمِينِهِ، عَلِمَ أَنَّهُ مِن أَهلِ النَّارِ، فَيَقُولُ: «واثُبُورَاهُ».

قَالَ الفَرَّاءُ: العَرَبُ تَقُولُ: «فُلَانٌ يَدعُوا لَهَفَهُ»، إِذَا قَالَ: «والَهفَاهُ».

وفِيهِ وجهٌ آخَرُ ذَكَرَهُ القَفَّالُ، فَقَالَ: الثُّبُورُ مُشتَقٌّ مِنَ المُثَابَرَةِ عَلَى شَيءٍ، وهِيَ المُواظَبَةُ عَلَيهِ، فَسُمِّيَ هَلَاكُ الآخِرَةِ ثُبُورًا؛ لِأَنَّهُ لَازِمٌ لَا يَزُولُ، كَمَا قَالَ: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفُرقَانِ: ٦٥] وأَصلُ الغَرَامِ: اللُّزُومُ والوُلُوعُ.(٤)

(١) «تَفسِيرِ المَاتُرِيدِيِّ = تَأوِيلَات أَهلِ السُّنَّةِ» (١٠/ ٤٧٤).
(٢) «المُفرَدَات فِي غَرِيبِ القُرآنِ» (ص١٧١).
(٣) «تَفسِيرِ الأَلُوسِيِّ = رُوحِ المَعَانِي» (١٥/ ٢٨٩).
(٤) «تَفسِيرِ الرَّازِيِّ» (٣١/ ٩٩).

﴿وَيَصۡلَىٰ سَعِيرًا﴾ [الانشِقَاق: ١٢]

أَي: يَدخُلُ جَهَنَّمَ فَيُشوى فِيهَا.

وأَصلُ الصِّلِي: الإِيقَادُ بِالنَّارِ.

قَالَ الكِسَائِيُّ: «شَاةٌ مَصلِيَّةٌ»: مَشوِيَّةٌ.

وقَالِ الخَلِيلُ: «صَلِيَ الكَافِرُ النَّارَ»: قَاسَى حَرَّهَا، وقِيلَ: «صَلَى النَّارَ»: دَخَلَ فِيهَا، وأَصلَاهَا غَيرَهُ، والصَّلَاءُ: يُقَالُ لِلوقُودِ ولِلشِّواءِ.(١)

بَعضُ الآيَاتِ الَّتِي ذُكِرَت فِيهَا هَذِهِ الكَلِمَةُ	
﴿ٱصۡلَوۡهَا ٱلۡيَوۡمَ﴾ [يس/ ٦٤]	﴿حَسۡبُهُمۡ جَهَنَّمُ يَصۡلَوۡنَهَا﴾ [المُجَادِلَة/ ٨]
﴿يَصۡلَى ٱلنَّارَ ٱلۡكُبۡرَىٰ﴾ [الأَعلَى/ ١٢]	﴿سَأُصۡلِيهِ سَقَرَ﴾ [المُدَّثِّر/ ٢٦]
﴿تَصۡلَىٰ نَارًا حَامِيَةً﴾ [الغاشية/ ٤]	﴿وَتَصۡلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ [الواقِعَة/ ٩٤]
﴿يَصۡلَوۡنَهَاۖ فَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [المُجَادِلَة/ ٨]	﴿فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارًا﴾ [النِّسَاء/ ٣٠]
﴿وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرًا﴾ [النِّسَاء/ ١٠]	﴿لَا يَصۡلَىٰهَآ إِلَّا ٱلۡأَشۡقَى﴾ [اللَّيل: ١٥-١٦]
﴿ثُمَّ لَنَحۡنُ أَعۡلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمۡ أَوۡلَىٰ بِهَا صِلِيّٗا﴾ [مَريَم/ ٧٠]	﴿وَيَصۡلَىٰ سَعِيرًا﴾ [الإنشقاق:١٢]

(١) «المُفرَدَات فِي غَرِيبِ القُرآنِ» (ص٤٩٠)، «لِسَان العَرَبِ» (١٤/ ٤٦٧).

﴿إِنَّهُۥ كَانَ فِيٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورًا﴾ [الانشِقَاق: ١٣]

كَانَ لِنَفسِهِ مُتَابِعًا، وفِي مَرَاتِعِ هَواهُ سَاعِيًا، غَافِلًا عَمَّا وراءَ اللَّحظَةِ الحَاضِرَةِ، لَاهِيًا عَمَّا يَنتَظِرُهُ فِي الدَّارِ الآخِرَةِ، لَا يَحسِبُ لَهَا حِسَابًا، ولَا يُقَدِّمُ لَهَا زَادًا، وكَانَ فِي الدُّنيَا مُترَفًا بَطِرًا مُستَبشِرًا؛ كَعَادَةِ الفُجَّارِ الَّذِينَ لَا يُهِمُّهُم أَمرُ الآخِرَةِ ولَا يُفكِّرُونَ فِي العَواقِبِ، ولَم يَكُن مُتَفَكِّرًا كَعَادَةِ الصُّلَحَاءِ والمُتَّقِينَ.(١)

كَانُوا فَرِحِينَ مُختَالِينَ، لَا يَعبَؤُونَ بِالحِسَابِ ولَا يَخَافُونَهُ، ولَا يَنتَظِرُونَهُ.

۞ عَن أَبِي هُرَيرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ يَروِي عَن رَبِّهِ ﷻ قَالَ: «وعِزَّتِي لَا أَجمَعُ عَلَى عَبدِي خَوفَينِ وأَمنَينِ، إِذَا خَافَنِي فِي الدُّنيَا أَمَّنتُهُ يَومَ القِيَامَةِ، وإِذَا أَمِنَنِي فِي الدُّنيَا أَخفتُهُ يَومَ القِيَامَةِ».(٢)

وقَولُهُ جَلَّ ذِكرُهُ: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فِيٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورًا﴾ [الانشِقَاق: ١٣] ذَكَرَ القَفَّالُ فِيهِ وجهَينِ:

* **أَحَدُهُمَا:** أَنَّهُ كَانَ فِي أَهلِهِ مَسرُورًا، أَي: مُنَعَّمًا مُستَرِيحًا مِنَ التَّعَبِ بِأَدَاءِ العِبَادَاتِ، واحتِمَالِ مَشَقَّةِ الفَرَائِضِ مِنَ الصَّلَاةِ والصَّومِ والجِهَادِ،

(١) انظر «تَفسِير الزَّمَخشَرِيِّ = الكَشَّاف عَن حَقَائِقِ غَوامِضِ التَّنزِيل» (٤/ ٧٢٧).
(٢) «صَحِيح ابنِ حِبَّانَ» (٦٤٠) وقَد رُوِي عَلى الحَسَن مِن قَولِهِ.
وقَالَ الدَّارَقُطنِيُّ: إِنَّمَا يُعرَفُ هَذَا مِن حَدِيثِ عَوفٍ، عَنِ الحَسَنِ مُرسَلٌ «عِلَل الدَّارَقُطنِيِّ = العِلَل الوَارِدَة فِي الأَحَادِيث النَّبَوِيَّة» (٨/ ٣٨).

مُقدِمًا عَلَى المَعَاصِي، آمِنًا مِنَ الحِسَابِ والثَّوابِ والعِقَابِ، لَا يَخَافُ اللهَ ولَا يَرجُوهُ؛ فَأَبدَلَهُ اللهُ بِذَلِكَ السُّرُورِ الفَانِي غَمًّا بَاقِيًا لَا يَنقَطِعُ، وكَانَ المُؤمِنُ الَّذِي أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ مُتَّقِيًا مِنَ المَعَاصِي، غَيرَ آمِنٍ مِنَ العَذَابِ، ولَم يَكُن فِي دُنيَاهُ مَسرُورًا فِي أَهلِهِ، فَجعَلَهُ اللهُ فِي الآخِرَةِ مَسرُورًا، فَأَبدَلَهُ اللهُ تَعَالَى بِالغَمِّ الفَانِي سُرُورًا دَائِمًا لَا يَنفَذُ.

* **الثَّانِي**: أَنَّ قَولَهُ: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورًا﴾ كَقَولِهِ: ﴿وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ﴾ [المُطَفِّفِينَ: ٣١] أَي: مُتَنَعِّمِينَ فِي الدُّنيَا، مُعجَبِينَ بِمَا هُو عَلَيهِ مِنَ الكُفرِ، فَكَذَلِكَ هَاهُنَا يَحتَمِلُ أَن يَكُونَ المَعنَى: أَنَّهُ كَانَ فِي أَهلِهِ مَسرُورًا بِمَا هُم عَلَيهِ مِنَ الكُفرِ بِاللهِ والتَّكذِيبِ بِالبَعثِ، يَضحَكُ مِمَّن آمَنَ بِهِ وصَدَّقَ بِالحِسَابِ، وقَد رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «الدُّنيَا سِجنُ المُؤمِنِ وجَنَّةُ الكَافِرِ».(١)

﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾ [الانشِقَاق: ١٤]

فَسَدَ اعتِقَادُهُ، فَفَسَدَ عَمَلُهُ: ﴿وَقَالُواْ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُ﴾ [الجَاثِيَة: ٢٤]؛ فَلِهَذَا كَانَ يَعمَلُ عَمَلَ مَن لَا يَخَافُ عَاقِبَةً.(٢)

---

(١) «تَفسِير الرَّازِيِّ» (٣١/ ١٠٠) عَن أَبِي هُرَيرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الدُّنيَا سِجنُ المُؤمِنِ، وجَنَّةُ الكَافِرِ» «صَحِيح مُسلِمٍ» (٢٩٥٦).

(٢) «نَظمُ الدُّرَر فِي تَنَاسُبِ الآيَاتِ والسُّور» (٢١/ ٣٤٥).

﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ﴾: أَي: تيقَّن.

﴿أَن لَّن يَحُورَ﴾: لَن يَرجعَ إِلَى اللـهِ ﷻ.

عَن قَتَادَةَ: قَولُهُ: ﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾: أَن لَا مَعَادَ لَهُ ولَا رَجعَةَ.[1]

والحَورُ: مَصدَرُ «حَارَ حَورًا»: رَجَعَ.

ويُقَالُ: «نُعُوذُ بِاللـهِ مِنَ الحَورِ بَعدَ الكَورِ»، وهُو النُّقصَانُ بَعدَ الزِّيَادَةِ.[2]

عَن عَبدِ اللـهِ بنِ سَرجِسَ، قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللـهِ ﷺ إِذَا سَافَرَ يَتَعَوذُ مِن وعثَاءِ السَّفَرِ، وكَآبَةِ المُنقَلَبِ، والحَورِ بَعدَ الكَورِ، ودَعوةِ المَظلُومِ، وسُوءِ المَنظَرِ فِي الأَهلِ والمَالِ».[3]

الحَورُ بَعدَ الكَورِ أَي: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الكُفرِ بَعدَ الإِيمَانِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ النُّقصَانِ بَعدَ الزِّيَادَةِ؛ بِأَن يَكُونَ الإِنسَانُ رَجُلًا صَالِحًا، ثُمَّ يَنقَلِبُ إِلَى رَجُلِ سُوءٍ.

وقَالَ ابنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: كُنتُ لَا أَدرِي مَا مَعنَى يَحُورُ حَتَّى سَمِعتُ أَعرَابِيَّةً تَدعُو بُنَيَّةً لَهَا تَقُولُ: «حُورِي حُورِي» أَي: ارجِعِي.[4]

(١) «تَفسِير الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ٢٤٢).

(٢) «مَقَايِيس اللُّغَة» (٢/ ١١٧).

(٣) «صَحِيح مُسلِم» (٤٢٦).

(٤) «تَفسِير الثَّعلَبِيِّ» (٢٩/ ١١٠).

﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ١٤ بَلَىٰٓ﴾.

بَلَى سَيَحُورُ، ويَرجِعُ، فَلَيسَ الأَمرُ كَمَا ظَنَّ.

﴿بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ١٥﴾ [الانشِقَاق: ١٥]

كَانَ بِعَمَلِهِ بَصِيرًا، وكَانَ بِمَا يَستَحِقُّهُ مِن سَعَادَةٍ وشَقَاءٍ بَصِيرًا، قَبلَ أَن يَخلُقَهُ.

وقَولُهُ جَلَّ ذِكرُهُ: ﴿إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ١٥﴾ يَحتَمِلُ وجهَينِ:

* **أَحَدُهُمَا**: مُشَاهِدًا لِمَا كَانَ عَلَيهِ.

* **الثَّانِي**: خَبِيرًا بِمَا يَصِيرُ إِلَيهِ.(١)

وهَذِهِ الآيَةُ تَتَضَمَّنُ التَّهدِيدَ، ومَن أَيقَنَ بِرُؤيَةِ صَالِحِي النَّاسِ لِعَمَلِهِ، استَحَى مِن مَعصِيَةِ اللهِ أَمَامَهُم، فَمَا بَالُكَ مِمَّن يَستَحضِرُ رُؤيَةَ اللهِ دَائِمًا لَهُ، وهَذِهِ دَرَجَةُ الإِحسَانِ.

قَالَ أَبُو مَنصُورٍ المَاتُرِيدِيُّ: كَانَ بَصِيرًا بِمَا سَبَقَ مِن أَعمَالِهِ الخَبِيثَةِ؛ فَيُحَاسِبُهُ عَلَى عِلمٍ مِنهُ بِمَا كَسَبَت يَدَاهُ، ويُعَذِّبُهُ عَلَى عِلمٍ مِنهُ بِاكتِسَابِ مَا استُوجِبَ مِنَ العَذَابِ؛ خِلَافًا لِأَمرِ مُلُوكِ الدُّنيَا: أَنَّهُم يُحَاسِبُونَ عَلَى تَذكِيرِ الغَيرِ لَهُم مَا عَلَيهِ مِنَ الحِسَابِ، ويُعَذِّبُونَ عَلَى تَعرِيفِ الغَيرِ لَهُم مَا استُوجِبَ بِهِ التَّعذِيبُ، لَا عَلَى عِلمٍ مِنهُم بِذَلِكَ.(٢)

(١) «تَفسِير المَاوردِيِّ = النُّكَت والعُيُون» (٦/ ٢٣٧).

(٢) «تَفسِير المَاتُرِيدِيِّ = تَأوِيلَات أَهلِ السُّنَّةِ» (١٠/ ٤٧٤).

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ﴾ [الانشِقَاق: ١٧]

﴿فَلَآ﴾: صِلَةٌ لِلتَّوكِيدِ.

وقَولُهُ جَلَّ ذِكرُهُ: ﴿أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ﴾ فِيهِ أَربَعَةُ أَقَاوِيل:

* **أَحَدُهَا:** أَنَّهُ شَفَقُ اللَّيلِ، وهُو الحُمرَةُ.

قَالَ ابنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنه وأَكثَرُ النَّاسِ: هُو الحُمرَةُ الَّتِي تَبقَى فِي الأُفُقِ بَعدَ غُرُوبِ الشَّمسِ، وبِغَيبُوبَتِهِ يَتَعَلَّقُ أَوَّلُ وقتِ العِشَاءِ الآخِرَةِ.

وإِلَيهِ ذَهَبَ مِنَ الصَّحَابَةِ: ابنُ مَسعُودٍ، وابنُ الزُّبَيرِ، وعُمَرُ، وابنُهُ، وعُبَادَةُ بنُ الصَّامِتِ، وشَدَّادُ بنُ أَوسٍ، وأَنَسُ بنُ مَالِكٍ، ومِنَ الفُقَهَاءِ: مَالِكٌ، والأَوزَاعِيُّ، والشَّافِعِيُّ، وأَبُو يُوسُفَ، وأَبُو ثَورٍ، وأَبُو عُبَيدٍ، وأَحمَدُ، وإِسحَاقُ رَحِمَهُمُ اللهُ[١].

وأَهلُ اللُّغَةِ عَلَى أَنَّ الحُمرَةَ مِن بَعدِ غُرُوبِ الشَّمسِ إِلَى وقتِ صَلَاةِ العِشَاءِ الآخِرَةِ، وهُو قَولُ اللَّيثِ، والفَرَّاءِ، والزَّجَّاجِ[٢].

وقَالَ البَغَوِيُّ: هُو قَولُ أَكثَرِ المُفَسِّرِينَ.[٣]

---

(١) انظُر: «تَفسِير الثَّعلَبِيِّ» (٢٩/ ١١٠) «مَعَانِي القُرآنِ لِلفَرَّاء» (٣/ ٢٥١).

(٢) «التَّفسِير البَسِيط» (٢٣/ ٣٦٣).

(٣) «تَفسِير البَغَوِيِّ - طَيبَة» (٨/ ٣٧٥).

۞ **عَنْ عَبدِ اللهِ بنِ عَمرٍو:** أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «وقتُ الظُّهرِ إِذَا زَالَتِ الشَّمسُ وكَانَ ظِلُّ الرَّجُلِ كَطُولِهِ مَا لَمْ يَحضُرِ العَصرُ، ووقتُ العَصرِ مَا لَمْ تَصفَرَّ الشَّمسُ، ووقتُ صَلَاةِ المَغرِبِ مَا لَمْ يَغِبِ الشَّفَقُ، ووقتُ صَلَاةِ العِشَاءِ إِلَى نِصفِ اللَّيلِ الأَوسَطِ، ووقتُ صَلَاةِ الصُّبحِ مِن طُلُوعِ الفَجرِ مَا لَمْ تَطلُعِ الشَّمسُ، فَإِذَا طَلَعَتِ الشَّمسُ فَأَمسِك عَنِ الصَّلَاةِ؛ فَإِنَّهَا تَطلُعُ بَينَ قَرنَي شَيطَانٍ».(١)

۞ **وقَالَ الطَّبَرِيُّ:** والصَّوابُ مِنَ القَولِ فِي ذَلِكَ عِندِي أَن يُقَالَ: إِنَّ اللهَ أَقسَمَ بِالنَّهَارِ مُدبِرًا، واللَّيلِ مُقبِلًا.(٢)

* **الثَّانِي:** أَنَّهُ بَقِيَّةُ ضَوءِ الشَّمسِ. قَالَهُ مُجَاهِدٌ.

* **الثَّالِثُ:** أَنَّهُ مَا بَقِيَ مِنَ النَّهَارِ. قَالَهُ عِكرِمَةُ.

* **الرَّابِعُ:** أَنَّهُ النَّهَارُ، رَوَاهُ ابنُ أَبِي نُجَيحٍ(٣).

۞ **قَالَ ابنُ عَطِيَّةَ:** **قِيلَ:** «الشَّفَقُ» هُنَا: النَّهَارُ كُلُّهُ. قَالَهُ مُجَاهِدٌ، وهَذَا قَولٌ ضَعِيفٌ(٤).

---

(١) «صَحِيح مُسلِم» (٦١٢).

(٢) «تَفسِير الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ٢٤٤).

(٣) انظُر لِهَذِهِ الأَقوالِ «تَفسِير المَاورِدِيِّ» (٦/ ٢٣٧).

(٤) «تَفسِير ابنِ عَطِيَّةَ» (٥/ ٤٥٨).

﴿وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ﴾ [الانشِقَاق: ١٧]

أَقسَمَ اللهُ بِاللَّيلِ وبِالنَّهارِ، الَّذينِ أَحدُهُما مَعَاشٌ، والثَّانِي يُسكَنُ فِيهِ، وبِهِمَا قِوامُ أُمُورِ العَالَمِ، وكَمَا أَنَّ هُنَاكَ لَيلٌ ونَهارٌ، فَهُنَاكَ أَهلُ إِيمَانٍ وأَهلُ كُفرٍ.

الوسَقُ: جَمعُ المُتَفَرِّقِ، يُقَالُ: «وسَقتُ الشَّيءَ» إِذَا جَمَعتُهُ.

وقَالَ اللَّيثُ: الوسَقُ: ضَمُّكَ الشَّيءَ بَعضَهُ إِلَى بَعضٍ، و«استَوسَقَتِ الإِبِلُ» إِذَا اجتَمَعَت وانضَمَّت.(١)

والوسَقُ: يَكُونُ بِمَعنَى الحَملِ، وكُلُّ شَيءٍ حَمَلتَهُ فَقَد وسَقتَهُ، ومَعنَى «حَمَلَ» فِي اللَّيلِ: يَعنِي «ضَمَّ وجَمَعَ»، أَي: مَا أَتَى عَلَيهِ اللَّيلُ، وحَمَلَهُ فِي ظُلمَتِهِ، وذَلِكَ أَنَّهُ يُجَلِّلُ الأَشجَارَ والجِبَالَ، والبِحَارَ، والأَرضَ كُلَّهَا، فَإِذَا جَلَّلَهَا فَقَد وسَقَهَا.(٢)

ومَا مِن كَائِنٍ إِلَّا ويَأتِيهِ اللَّيلُ، فَكَأَنَّ اللهَ يُقسِمُ بِكُلِّ المَخلُوقَاتِ فِي هَذِهِ الآيَةِ؛ لِأَنَّ اللَّيلَ يُغَطِّيهَا جَمِيعًا.

وقَولُهُ جَلَّ ذِكرُهُ: ﴿وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ﴾ فِيهِ أَربعَةُ تَأوِيلَاتٍ:

* **أَحَدُهَا**: ومَا جَمَعَ، وضَمَّ، وحَوى، ولَفَّ.

---

(١) «التَّفسِير البَسِيط» (٢٣/ ٣٦٦).

(٢) «التَّفسِير البَسِيط» (٢٣/ ٣٦٧)، «المُفرَدَات فِي غَرِيبِ القُرآنِ» (ص٨٧١).

۞ قَالَـهُ: مُجَاهِـدٌ، ومَـسرُوقٌ، والحَسَـنُ، وأَبُـو صَالِـحٍ، وأَبُـو العَالِيَـةِ، ورِوايَـةُ ابـنِ أَبِي مُلَيكَـةَ عَـنِ ابـنِ عَبَّـاسٍ قَـالَ: مَـا جَمَـعَ.

واختِيَارُ الفَرَّاءِ، والزَّجَّاجِ، والمُبَرِّدِ.(١)

۞ وقَـالَ القَفَّـالُ: مَجمُـوعُ أَقَاوِيـلِ المُفَسِّرِيـنَ يَـدُلُّ عَـلَى أَنَّهُـم فَـسَّرُوا قَولَـهُ تَعَـالَى: ﴿وَمَا وَسَقَ﴾ عَـلَى جَمِيـعِ مَـا يَجمَعُـهُ اللَّيـلُ مِـنَ النُّجُـومِ ورُجُـوعِ الحَيَـوانِ عَـنِ الانتِشَـارِ وتَحَـرُّكِ مَـا يَتَحَـرَّكُ فِيـهِ الهَـوامُّ، ثُـمَّ هَـذَا يَحتَمِـلُ أَن يَكُـونَ إِشَـارَةً إِلَى الأَشـيَاءِ كُلِّهَـا لاشـتِمَالِ اللَّيـلِ عَلَيهَـا، فَكَأَنَّـهُ تَعَـالَى أَقسَـمَ بِجَمِيـعِ المَخلُوقَـاتِ كَـمَا قَـالَ: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ﴾ [الحَاقَّـة: ٣٨].(٢)

* **الثَّانِي**: ومَا جَنَّ وسَتَرَ. قَالَهُ ابنُ عَبَّاسٍ.

* **الثَّالِـثُ**: ومَـا سَـاقَ مِـن ظُلمَـةٍ، فَـإِذَا كَانَ اللَّيـلُ، ذَهَـبَ كُلُّ شَيءٍ إِلَى مَـأواهُ، قَالَـهُ عِكرِمَـةُ.(٣)

* **الرَّابِعُ**: ومَا عُمِلَ فِيهِ. قَالَهُ ابنُ جُبَيرٍ.(٤)

---

(١) انظُر: «تَفسِير الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ٢٤٥)، «التَّفسِير البَسِيط» (٢٣/ ٣٦٥).

(٢) «مَفَاتِيحُ الغَيبِ أو التفسير الكبير» (٣١/ ١٠١).

(٣) «تَفسِير الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ٢٤٨).

(٤) «تَفسِير المَاورِدِيِّ = النُّكَت والعُيُون» (٦/ ٢٣٧).

۞ **وقَالَ القَفَّالُ**: يحتمِلُ أن يَكُونَ ذَلِكَ هُو تَهَجُّدُ العِبَادِ؛ فقَد مَدَحَ اللهُ تَعَالَى بِهَا المُستَغفِرِينَ بِالأَسحَارِ، فَيَجُوزُ أن يَحلِفَ بِهِم.(١)

﴿وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ﴾ [الانشِقَاق: ١٨]

القَمَرُ إِذَا تَمَّ واستَدَارَ واكتَمَلَ.

وقَولُهُ جَلَّ ذِكرُهُ: ﴿وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ﴾ فِيهِ أَربَعَةُ تَأوِيلَاتٍ:

* **أَحَدُهَا**: إِذَا اجتَمَعَ واستَوَى. قَالَهُ ابنُ عَبَّاسٍ.

وقَولُهُم: «اتَّسَقَ الأَمرُ» إِذَا انتَظَمَ واستَوَى.

۞ **قَالَ الضَّحَّاكُ**: لَيلَةُ أَربَعَةَ عَشَرَ هِيَ لَيلَةُ السَّوَاءِ.

اجتَمَعَ واستَوَى وتَمَّ نُورُهُ، وهُو فِي الأَيَّامِ البِيضِ.(٢)

* **الثَّانِي**: والقَمَرِ إِذَا استَدَارَ. قَالَهُ قَتَادَةُ.(٣)

* **الثَّالِثُ**: إِذَا اجتَمَعَ. قَالَهُ مُجَاهِدٌ، ومَعَانِيهَا مُتَقَارِبَةٌ.

ويَحتَمِلُ رَابِعًا: إِذَا طَلَعَ مُضِيئًا.(٤)

---

(١) «تَفسِير الرَّازِيِّ» (٣١/ ١٠١).

(٢) «تَفسِير الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ٢٤٩) «تفسير البغوي» (٨/ ٣٧٥).

(٣) «تَفسِير الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ٢٥٠).

(٤) «تَفسِير المَاورديِّ = النُّكَت والعُيُون» (٦/ ٢٣٨).

۞ قَالَ السَّعدِيُّ: أَقسَمَ فِي هَذَا المَوضِعِ بِآيَاتِ اللَّيلِ، فَأَقسَمَ بِالشَّفَقِ الَّذِي هُو بَقِيَّةُ نُورِ الشَّمسِ، الَّذِي هُو مُفتَتَحُ اللَّيلِ.

﴿وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ﴾ أَي: احتَوى عَلَيهِ مِن حَيَوانَاتٍ وغَيرِهَا، ﴿وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ﴾ أَي: امتَلأَ نُورًا بِإِبدَارِه، وذَلِكَ أَحسَنُ مَا يَكُونُ وأَكثَرُ مَنَافِعَ، والمُقسَمُ عَلَيهِ قَولُهُ: ﴿لَتَرۡكَبُنَّ﴾.(٥)

﴿لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ﴾ [الانشِقَاق: ١٩]

۞ قَالَ ابنُ عَبَّاسٍ: ﴿لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ﴾ «حَالًا بَعدَ حَالٍ»، وقَالَ: «هَذَا نَبِيُّكُم ﷺ».(٦)

۞ وقَالَ ابنُ الأَعرَابِيِّ: الطَّبَقُ: الحَالُ عَلَى اختِلَافِهَا.(٧)

والعَرَبُ تَقُولُ: «وقَعَ فِي بَنَاتِ طَبَقٍ»، إِذَا وقَعَ فِي الأَمرِ الشَّدِيدِ.(٨)

وقَولُهُ جَلَّ ذِكرُهُ: ﴿لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ﴾ فِيهِ سَبعَةُ تَأوِيلَاتٍ:

* **أَحَدُهَا**: سَمَاءً بَعدَ سَمَاءٍ. قَالَهُ ابنُ مَسعُودٍ والشَّعبِيُّ.(٩)

---

(٥) «تَفسِير السَّعدِيِّ» (ص٩١٧).

(٦) «صحيح البخاري» (٤٩٤٠).

(٧) «التفسير البسيط» (٢٣/ ٣٧١).

(٨) «مَعَانِي القُرآنِ لِلفَرَّاء» (٣/ ٢٥٢).

(٩) «تَفسِير الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ٢٥٤).

* الثَّانِي: حَالًا بَعدَ حَالٍ، فَطِيمًا بَعدَ رَضِيعٍ، وشَيخًا بَعدَ شَابٍّ. قَالَهُ عِكرِمَةُ.

۞ قَالَ الحُكَمَاءُ: يَشتَمِلُ الإِنسَانَ مِن كَونِهِ نُطفَةً إِلَى أَن يَهرَمَ، ويَمُوتَ عَلَى سَبعَةٍ وثَلَاثِينَ حَالًا، وسَبعَةٍ وثَلَاثِينَ اسمًا.

نُطفَةً، ثُمَّ عَلَقَةً، ثُمَّ مُضغَةً، ثُمَّ عِظَامًا، ثُمَّ خلقًا آخَرَ، ثُمَّ جَنِينًا، ثُمَّ ولِيدًا، ثُمَّ رَضِيعًا، ثُمَّ فَطِيمًا، ثُمَّ يَافِعًا، ثُمَّ نَاشِئًا، ثُمَّ مُتَرَعرِعًا، ثُمَّ حَزَورًا [الغُلَامُ إِذَا احتَلَمَ واجتَمَعَت قُوتُهُ]، ثُمَّ مُرَاهِقًا، ثُمَّ مُحتَلِمًا، ثُمَّ بَالِغًا، ثُمَّ أَمرَدَ، ثُمَّ طَارًّا [الَّذِي طُرَّ شَارِبُه، يَعنِي: ظَهَرَ شَارِبُهُ]، ثُم بَاقِلًا [هُو الَّذِي اخضَرَّ شَارِبُهُ]، ثُمَّ مُسبَطِرًّا، ثُمَّ مُطرَخِمًّا [هُو الشَّابُّ الحَسَنُ التَّامُّ]، ثُمَّ مُختَلِطًا، ثُمَّ صُمُلًّا [هُو الشَّدِيدُ الخَلقِ]، ثُمَّ مُلتَحِيًا، ثُمَّ مُستَوِيًا [هُو الَّذِي تَمَّ شَبَابُه، وذَلِكَ إِذَا تَمَّت ثَمَانٍ وعِشرُونَ سَنَةً]، ثُمَّ مُصَعِّرًا، ثُمَّ مُجتَمِعًا [هُو الَّذِي اجتَمَعَت لِحيَتُهُ وبَلَغَ غَايَةَ شَبَابِهِ]، والشَّبَابُ يَجمَعُ ذَلِكَ كُلَّهُ، ثُمَّ مَلهُوزًا، ثُمَّ كَهلًا [هُو الَّذِي يَكُونُ سِنُّهُ بَينَ الخَمسِينَ والسِّتِّينَ]، ثُمَّ أَشمَطَ [يُقَالُ لِلرَّجُلِ الَّذِي شَابَ]، ثُمَّ شَيخًا، ثُمَّ أَشيَبَ [يُقَالُ لِلرَّجُلِ أَولَ مَا يَظهَرُ الشَّيبُ بِهِ]، ثُمَّ مُحَوقِلًا [هُو الَّذِي اعتَمَدَ بِيَدَيهِ عَلَى خَصرَيهِ]، ثُمَّ صَعتَانًا، ثُمَّ هِمًّا [الشَّيخُ الكَبِيرُ البَالِي]، ثُمَّ هَرِمًا [أَقصَى الكِبَرِ]، ثُمَّ مَيِّتًا.(١)

(١) «تفسير الثعلبي» (٢٩/ ١٢٢).

* **الثَّالِـثُ**: أَمـرًا بَعـدَ أمـرٍ، رَخَـاءً بَعـدَ شِـدَّةٍ، وشِـدَّةً بَعـدَ رَخَـاءٍ، وغِنـىً بَعـدَ فَقـرٍ، وفَقـرًا بَعـدَ غِنـىً، وصِحَّـةً بَعـدَ سَـقَمٍ، وسَـقَمًا بَعـدَ صِحَّـةٍ. قَالَـهُ الحَسَـنُ.

قَـالَ الطَّـبَرِيُّ: الصَّـوابُ مِـنَ التَّأوِيـلِ قَـولُ مَـن قَـالَ: «لَتَركَبَـنَّ» أَنـتَ يَـا مُحَمَّـدُ حَـالًا بَعـدَ حَـالٍ، وأَمـرًا بَعـدَ أمـرٍ مِـنَ الشَّـدَائِدِ.

والمُـرَادُ بِذَلِـكَ -وإِن كَانَ الخِطَـابُ إِلَى رَسُـولِ اللـهِ ﷺ مُوجَّهًـا- جَمِيـعُ النَّـاسِ، أَنَّهُـم يَلقَـونَ مِـن شَـدَائِدِ يَـومِ القِيَامَـةِ وأَهوالِـهِ أَحـوالًا.

وإِنَّـمَا قُلنَـا: عُنِـيَ بِذَلِـكَ مَـا ذَكَرنَـا، أَنَّ الـكَلَامَ قَبـلَ قَولِـهِ: ﴿لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ﴾ جَـرَى بِخِطَـابِ الجَمِـعِ، وكَذَلِـكَ بَعـدَهُ، فَـكَانَ أَشـبَهَ أَن يَكُـونَ ذَلِـكَ نَظِـيرَ مَـا قَبلَـهُ ومَـا بَعـدَهُ.

وقَولُـهُ: ﴿طَبَقًا عَن طَبَقٖ﴾ مِـن قَـولِ العَـرَبِ: «وقَـعَ فُـلَانٌ فِي بَنَـاتِ طَبَـقٍ»: إِذَا وقَـعَ فِي أَمـرٍ شَـدِيدٍ.[1]

هَـذَا قَـولُ أَكثَـرِ المُفَسِّرِيـنَ، قَالُـوا: لَتَركَبُـنَّ حَـالًا بَعـدَ حَـالٍ، ومَنـزِلًا بَعـدَ مَنـزِلٍ، وأَمـرًا بَعـدَ أَمـرٍ.

وهَـذَا قَـولُ الحَسَـنِ، وقَتَـادَةَ، ومُجَاهِـدٍ، وعِكرِمَـةَ، وابـنِ زَيـدٍ، وسَـعِيدِ بـنِ جُبَـيرٍ. قَالُـوا: لَتَكُونُـنَّ فِي الآخِـرَةِ بَعـدَ الأُولَى، ولَتَصِـيرُنَّ أَغنِيَـاءَ بَعـدَ الفَقـرِ،

(١) «تَفسِير الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ٢٥٦).

وفُقَـراءَ بَعـدَ الغِنَـى، يَعنِـي فِي الآخِـرَةِ.[(١)]

۞ **قَـالَ الثَّعلَبِـيُّ**: قَـالَ أَكثَـرُ المُفَسِّرِيـنَ: حَـالًا بَعـدَ حَـالٍ، وأَمـرًا بَعـدَ أَمـرٍ فِي مَواقِـفِ القِيَامَـةِ.[(٢)]

۞ **وعَـن أَنَـسٍ، قَـالَ: قَـالَ رَسُـولُ اللـهِ ﷺ**: «إِنَّ حَقًّـا عَـلَى اللـهِ أَلَّا يَرفَعَ شَـيئًا مِـنَ الدُّنيَـا إِلَّا وضَعَـهُ».[(٣)]

انظُرْ إِلَى الحُفَاةِ العُرَاةِ العَالَةِ، رُعَاةِ الشَّاءِ، كَيفَ أَصبَحُوا أَسيَادَ النَّاسِ؟!

تُقَبَّـلُ أَيدِيهِـم، وتُنتَظَـرُ صَدَقَاتُهُـم، وإِحسَـانُهُم، بَعـدَ أَن كَانُـوا حُفَـاةً عُـرَاةً عَالَـةً، يَتَسَـوَّلُونَ النَّـاسَ، ثُـمَّ رَكِبُـوا طَبَقًـا آخَـرَ، فَتَغَـيَّرَ حَالُهُـم، كَانُـوا خَدَمًـا فَأَصبَحُـوا أَسـيَادًا!

وهَذَا مِن أَدَلِّ الأَدِلَّةِ عَلَى حِدثِ العَالَمِ، وإِثبَاتِ الصَّانِعِ تَعَالَى.

۞ **قَـالَ الحُكَـمَاءُ**: مَـن كَانَ اليَـومَ عَـلَى حَالَـةٍ وغَـدًا عَـلَى حَالَـةٍ أُخـرَى، فَليَعلَـم أَنَّ تَدبِـيرَهُ إِلَى سِـواهُ.

۞ **وقِيـلَ لِأَبِي بَكـرٍ الـورَّاقِ**: مَـا الدَّلِيـلُ عَـلَى أَنَّ لِهَـذَا العَـالَمِ صَانِعًـا؟ قَـالَ: تَحوِيـلُ الحَـالَاتِ، وعَجـزُ القُـوةِ، وضَعـفُ الأَركَانِ، وقَهـرُ المَنِيَّـةِ، وفَسـخُ

---

(١) «تَفسِير الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ٢٥١) «التفسير البسيط» (٢٣/ ٣٧١).

(٢) «تَفسِير الثَّعلَبِيِّ» (٢٩/ ١٢٠).

(٣) «صَحِيح البُخَارِيّ» (٦٥٠١).

العَزِيمَـةِ[١].

* **الرَّابِـعُ**: مَنزِلَـةً بَعـدَ مَنزِلَـةٍ، قَـالَ سَـعِيدُ بـنُ جُبَـيرٍ: قَـومٌ كَانُـوا فِي الدُّنيَـا خَسِـيسٌ أَمرُهُـم، فَارتَفَعُـوا فِي الآخِـرَةِ، وآخَـرُونَ كَانُـوا أَشرَافًـا فِي الدُّنيَـا، فَاتَّضَعُـوا فِي الآخِـرَةِ.[٢]

والمَعنَـى: أَنَّ النَّـاسَ تَنتَقِـلُ أَحوالُهُـم يَـومَ القِيَامَـةِ عَـمَّا كَانُـوا عَلَيـهِ فِي الدُّنيَا؛ فَمِـن وضِيـعٍ فِي الدُّنيَـا يَصِـيرُ رَفِيعًـا فِي الآخِـرَةِ، ومِـن رَفِيـعٍ يَتَّضِـعُ، ومِـن مُتَنَعِّـمٍ يَشـقَى، ومِـن شَـقِيٍّ يَتَنَعَّـمُ، وهُـو كَقَولِـهِ: ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ [الواقِعَـة: ٣] وهَـذَا التَّأوِيـلُ مُنَاسِـبٌ لِمَـا قَبـلَ هَـذِهِ الآيَـةِ؛ لِأَنَّـهُ تَعَـالَى لَمَّـا ذَكَـرَ حَـالَ مَـن يُؤتَـى كِتَابَـهُ وراءَ ظَهـرِهِ، أَنَّـهُ كَانَ فِي أَهلِـهِ مَـسرُورًا، وكَانَ يَظُـنُّ أَن لَـن يَحُـورَ، أَخـبَرَ اللهُ أَنَّـهُ يَحُـورُ، ثُـمَّ أَقسَـمَ عَـلَى النَّـاسِ أَنَّهُـم يَركَبُـونَ فِي الآخِـرَةِ طَبَقًـا عَـن طَبَـقٍ، أَي: حَـالًا بَعـدَ حَالِهِـم فِي الدُّنيَـا[٣].

* **الخَامِسُ**: عَمَلًا بَعدَ عَمَلٍ، يَعمَلُ الآخِرُ عَمَلَ الأَولِ. قَالَهُ السُّدِّيُّ.

* **السَّادِسُ**: الآخِرَةَ بَعدَ الأُولَى. قَالَهُ ابنُ زَيدٍ.

* **السَّـابِعُ**: شِـدَّةً بَعـدَ شِـدَّةٍ، حَيَـاةً ثُـمَّ مَوتًـا ثُـمَّ بَعثًـا ثُـمَّ جَـزَاءً، وفِي كُلِّ

---

(١) «تَفسِير الثَّعلَبِيِّ» (٢٩/ ١٢٢).

(٢) «تَفسِير ابنِ كَثِير ت سَلامَة» (٨/ ٣٦١).

(٣) «تَفسِير الرَّازِيِّ» (٣١/ ١٠٢).

حَـالٍ مِـن هَـذِهِ شِـدَّةٌ[١].

۞ عَن عَبدِ اللـهِ بنِ مَسعُودٍ ﵁ فِي قَولِهِ ﷻ: ﴿لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ﴾.

قَالَ: «السَّمَاءُ»[٢].

ويَجُـوزُ أَن يَكُـونَ المَعنَـى: لَتَركَبَـنَّ السَّـمَاءُ حَـالًا بَعـدَ حَـالٍ مِـن تَغَـيُّرِ حَالَاتِهَـا الَّتِـي وصَفَهَـا اللهُ مِـنَ الانشِـقَاقِ، والطَّـيِّ، وكَونِهَـا مَـرَّةً كَالدِّهَـانِ، ومَـرَّةً كَالمُهْـلِ[٣].

۞ وقَـالَ الـرَّازِيُّ: المَعنَـى: لَتَركَبَـنَّ السَّـمَاءُ يَـومَ القِيَامَـةِ حَالَـةً بَعـدِ حَالَـةٍ، وذَلِـكَ لِأَنَّهَـا أَولًا تَنشَـقُّ؛ كَـمَا قَـالَ تَعـالَى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ﴾ [الانشِـقَاق: ١]، ثُـمَّ تَنفَطِـرُ كَـمَا قَـالَ: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ﴾ [الانفِطَـار: ١]، ثُمَّ تَصِـيرُ: ﴿وَرۡدَةٗ كَٱلدِّهَانِ﴾ [الرَّحمَـن: ٣٧]، وتَـارَةً: ﴿كَٱلۡمُهۡلِ﴾ [المَعَارِج: ٨] عَـلَى مَـا ذَكَـرَ اللهُ تَعَـالَى هَـذِهِ الأَشـيَاءَ فِي آيَـاتٍ مِـنَ القُـرآنِ، فَكَأَنَّـهُ تَعَـالَى لَمَّـا ذَكَـرَ فِي أَولِ السُّـورَةِ أَنَّهَـا تَنشَـقُّ، أَقسَـمَ فِي آخِـرِ السُّـورَةِ أَنَّهَـا تَنتَقِـلُ مِـن أَحـوالٍ إِلَى أَحـوالٍ.[٤]

وقَـد أَقسَـمَ اللهُ بِتَغَـيُّرَاتٍ واقِعَـةٍ فِي الأَفـلَاكِ والعَنَـاصِرِ؛ فَالشَّـفَقُ الَّـذِي هُو الحُمـرَةُ؛ الَّتِـي هِـيَ وقـتُ المَغـرِبِ مُخَالِفَـةٌ لِلنَّهَـارِ، وبَعدَهَـا اللَّيـلُ مُخَالِـفٌ لَهَـا:

(١) «تَفسِيرِ المَاورِدِيِّ = النُّكَت والعُيُون» (٦/ ٢٣٨).
(٢) «المُستَدرَك عَلَى الصَّحِيحَينِ لِلحَاكِمِ» (٣٩١٣).
(٣) «التفسير البسيط» (٢٣/ ٣٦٩).
(٤) «تَفسِيرِ الرَّازِيِّ» (٣١/ ١٠٣).

﴿ وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ﴾ مُخَالِفٌ لَهَا، والقَمَرُ بَعدَ أَن كَانَ نَاقِصًا اتَّسَقَ واستَدَارَ واكتَمَلَ، وأَصبَحَ بَدرًا، فَكَأَنَّهُ أَقسَمَ بِالأَحوالِ المُتَغَيِّرَةِ عَلَى قُدرَتِهِ عَلَى البَعثِ.

﴿لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ﴾.

فَشِدَّتُكَ لَن تَدُومَ، وفَقرُكَ لَن يَدُومَ، وغِنَاكَ لَن يَدُومَ.

انظُرُوا! الدَّولَةُ الأُمويَّةُ، بَعدَهَا الدَّولَةُ العَبَّاسِيَّةُ، وبَعدَهَا.. أَينَ ذَهَبَ هَؤُلَاءِ؟

تَغَيَّرَت أَحوالُهُم، آخِرُ خَلِيفَةٍ عَبَّاسِيٍّ وضَعُوهُ فِي شُوالٍ، وظَلُّوا يَضرِبُونَهُ بِالأَرجُلِ حتَّى مَاتَ، كَانَ سَيِّدَ الدُّنيَا، فَصَارَ يُنخَسُ ويُضرَبُ بِالأَقدَامِ.

قَالَ الرَّازِيُّ: أَقسَمَ سُبحَانَهُ بِتَغيِيرَاتٍ واقِعَةٍ فِي الأَفلَاكِ والعَنَاصِرِ، فَإِنَّ الشَّفَقَ حَالَةٌ مُخَالِفَةٌ لِمَا قَبلَهَا وهُو ضَوءُ النَّهَارِ، ولِمَا بَعدَهَا وهُو ظُلمَةُ اللَّيلِ، وكَذَا قَولُهُ: ﴿ وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ﴾؛ فَإِنَّهُ يَدُلُّ عَلَى حُدُوثِ ظُلمَةٍ بَعدَ نُورٍ، وعَلَى تَغَيُّرِ أَحوالِ الحَيَوانَاتِ مِنَ اليَقَظَةِ إِلَى النَّومِ، وكَذَا قَولُهُ: ﴿وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ﴾؛ فَإِنَّهُ يَدُلُّ عَلَى حُصُولِ كَمَالِ القَمَرِ بَعدَ أَن كَانَ نَاقِصًا، إِنَّهُ تَعَالَى أَقسَمَ بِهَذِهِ الأَحوالِ المُتَغَيِّرَةِ عَلَى تَغَيُّرِ أَحوالِ الخَلقِ، وهَذَا يَدُلُّ قَطعًا عَلَى صِحَّةِ القَولِ بِالبَعثِ؛ لِأَنَّ القَادِرَ عَلَى تَغيِيرِ الأَجرَامِ العُلوِيَّةِ والسُّفلِيَّةِ مِن حَالٍ إِلَى حَالٍ

وصِفَةٍ إِلَى صِفَةٍ بِحَسَبِ المَصَالِحِ، لَا بُدَّ وأَن يَكُونَ فِي نَفسِهِ قَادِرًا عَلَى جَمِيعِ المُمكِنَاتِ عَالِمًا بِجَمِيعِ المَعلُومَاتِ.

ومَن كَانَ كَذَلِكَ كَانَ لَا مَحَالَةَ قَادِرًا عَلَى البَعثِ والقِيَامَةِ، فَلَمَّا كَانَ مَا قَبلَ هَذِهِ الآيَةِ كَالدَّلَالَةِ العَقلِيَّةِ القَاطِعَةِ عَلَى صِحَّةِ البَعثِ والقِيَامَةِ لَا جَرَمَ قَالَ عَلَى سَبِيلِ الاستِبعَادِ: ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[1].

﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الانشِقَاق: ٢٠]

بَعدَ كُلِّ هَذِهِ الآيَاتِ والقُدرَةِ العَجِيبَةِ مِنَ اللهِ ﷻ عَلَى تَغيِيرِ الأَشيَاءِ، وعَلَى خَلقِ المُتَنَاقِضَاتِ، لِمَ لَا يُؤمِنُونَ؟! أَيُّ شَيءٍ مَنَعَهُم مِنَ الإِيمَانِ؟! قَد قَامَتِ الأَدِلَّةُ عَلَى قُدرَةِ اللهِ ﷻ.

﴿فَمَا لَهُمْ﴾ يَعنِي: كُفَّارَ مَكَّةَ، ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بِمُحَمَّدٍ والقُرآنِ، وهُو استِفهَامُ إِنكَارٍ.[2]

أَي: أَيُّ شَيءٍ لَهُم مِنَ النَّعِيمِ والكَرَامَةِ إِذَا لَم يُؤمِنُوا؟!

ويَجُوزُ أَن يَكُونَ استِفهَامًا مَعنَاهُ التَّعَجُّبُ، أَي: اعجَبُوا مِنهُم، لَم يُؤمِنُوا بَعدَ البَيَانِ ووُضُوحِ البُرهَانِ.[3]

(١) «تَفسِيرِ الرَّازِيِّ» (٣١/ ١٠٣).
(٢) «زَادُ المَسِيرِ فِي عِلمِ التَّفسِيرِ» (٤/ ٤٢٢).
(٣) «التَّفسِيرُ البَسِيطُ» (٢٣/ ٣٧٣).

والأَقرَبُ أَنَّ المُرَادَ: فَمَا لَهُم لَا يُؤمِنُونَ بِصِحَّةِ البَعثِ والقِيَامَةِ؛ لِأَنَّهُ تَعَالَى حَكَى عَنِ الكَافِرِ: ﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾، ثُمَّ أَخبَرَ سُبحَانَهُ بِأَنَّهُ يَحُورُ، فَلَمَّا قَالَ بَعدَ ذَلِكَ: ﴿فَمَا لَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ دَلَّ عَلَى أَنَّ المُرَادَ: فَمَا لَهُم لَا يُؤمِنُونَ بِالبَعثِ والقِيَامَةِ.(١)

﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقُرۡءَانُ لَا يَسۡجُدُونَ﴾ [الانشِقَاق: ٢١]

استُدِلَّ بِهِ عَلَى مَشرُوعِيَّةِ سُجُودِ التِّلَاوةِ هُنَا.(٢)

عَن أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: «سَجَدَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ﴾ و﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾».(٣)

وقَولُهُ: ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقُرۡءَانُ لَا يَسۡجُدُونَ﴾ فِيهِ قَولَانِ:

* **أَحَدُهُمَا**: لَا يُصَلُّونَ. قَالَهُ عَطَاءٌ وابنُ السَّائِبِ.

* **والثَّانِي**: لَا يَخضَعُونَ لَهُ، ويَستَكِينُونَ. قَالَهُ ابنُ جَرِيرٍ، واختَارَهُ القَاضِي أَبُو يَعلَى، قَالَ: وقَدِ احتَجَّ بِهَا قَومٌ عَلَى وُجُوبِ سُجُودِ التِّلَاوةِ، ولَيسَ فِيهَا دَلَالَةٌ عَلَى ذَلِكَ، وإِنَّمَا المَعنَى: لَا يَخشَعُونَ، أَلَا تَرَى أَنَّهُ أَضَافَ السُّجُودَ إِلَى جَمِيعِ القُرآنِ، والسُّجُودُ يَختَصُّ بِمَواضِعَ مِنهُ.(٤)

(١) «تَفسِير الرَّازِيِّ» (٣١/ ١٠٣).
(٢) «الإِكلِيل فِي استِنبَاطِ التَّنزِيل» (ص٢٨٥).
(٣) «صَحِيح مُسلِم» (٥٧٨).
(٤) «زَادُ المَسِير فِي عِلمِ التَّفسِير» (٤/ ٤٢٢).

۞ قَالَ ابنُ تَيمِيَّةَ: القَولُ الأَولُ هُو الَّذِي يَذكُرُهُ كَثِيرٌ مِنَ المُفَسِّرِينَ، لَا يَذكُرُونَ غَيرَهُ؛ كَالثَّعلَبِيِّ والبَغَوِيِّ، وحَكَوهُ عَن مُقَاتِلٍ والكَلبِيِّ، وهُو المَنقُولُ عَن مُفَسِّرِي السَّلَفِ، وعَلَيهِ عَامَّةُ العُلَمَاءِ.

وأَمَّا القَولُ الثَّانِي: فَمَا عَلِمتُ أَحَدًا نَقَلَهُ عَن أَحَدٍ مِنَ السَّلَفِ، والَّذِينَ قَالُوهُ إِنَّمَا قَالُوهُ لَمَّا رَأَوا أَنَّهُ لَا يَجِبُ عَلَى كُلِّ مَن سَمِعَ شَيئًا مِنَ القُرآنِ أَن يَسجُدَ فَأَرَادُوا أَن يُفَسِّرُوا الآيَةَ بِمَعنًى يَجِبُ فِي كُلِّ حَالٍ، فَقَالُوا: يَخضَعُونَ ويَستَكِينُونَ. فَإِنَّ هَذَا يُؤمَرُ بِهِ كُلُّ مَن قُرِئَ عَلَيهِ القُرآنُ، ولَفظُ السُّجُودِ يُرَادُ بِهِ مُطلَقُ الخُضُوعِ والاستِكَانَةِ.(١)

وكَانَ عُمَرُ بنُ عَبدِ العَزِيزِ يَسجُدُ فِيهَا مَرَّةً، ومَرَّةً لَا يَسجُدُ، كَأَنَّهُ لَا يَرَاهَا مِن عَزَائِمِ القُرآنِ.(٢)

وبِهِ احتَجَّ أَبُو حَنِيفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ عَلَى وُجُوبِ السَّجدَةِ.(٣)

۞ قَالَ مَالِكٌ: إِنَّهَا لَيسَت مِن عَزَائِمِ السُّجُودِ، والصَّحِيحُ أَنَّهَا مِنهُ، وهِيَ رِوَايَةُ المَدَنِيِّينَ عَنهُ، وقَدِ اعتَضَدَ فِيهَا القُرآنُ والسُّنَّةُ.

۞ قَالَ ابنُ العَرَبِيِّ: لَمَّا أَمَمتُ بِالنَّاسِ تَرَكتُ قِرَاءَتَهَا؛ لِأَنِّي إِن سَجَدتُ أَنكَرُوهُ، وإِن تَرَكتُهَا كَانَ تَقصِيرًا مِنِّي، فَاجتَنَبتُهَا إِلَّا إِذَا صَلَّيتُ وحدِي.

---

(١) «مَجمُوعِ الفَتَاوى» (٢٣/ ١٥٢).

(٢) «أَحكَام القُرآنِ لِابنِ العَرَبِيِّ ط العِلمِيَّة» (٤/ ٣٧٠).

(٣) «تَفسِير الزَّمَخشَرِيِّ = الكَشَّاف عَن حَقَائِقِ غَوامِضِ التَّنزِيل» (٤/ ٧٢٨).

۞ **وقَـالَ**: كَانَ شَـيخُنَا أَبُـو بَكـرٍ الفِهرِيُّ يَرفَعُ يَدَيـهِ عِندَ الرُّكُـوعِ، وعِندَ رَفعِ الـرَّأسِ مِنـهُ، وهَـذَا مَذهَـبُ مَالِـكٍ والشَّـافِعِيِّ، وتَفعَلُـهُ الشِّـيعَةُ، فَحَـضَرَ عِندِي يَومًـا بِمُحـرِسِ بـنِ الشَّـواءِ بِالثَّغـرِ مَوضِـع تَدرِيـسِي عِنـدَ صَـلَاةِ الظُّهـرِ، ودَخَلَ المَسـجِدَ مِـنَ المُحـرِسِ المَذكُـورِ، فَتَقَـدَّمَ إِلَى الصَّـفِّ الأَولِ وأَنَـا فِي مُؤَخَّـرِهِ قَاعِـدٌ عَـلَى طَاقَـاتِ البَحـرِ، أَتَنَسَّـمُ الرِّيحَ مِن شِـدَّةِ الحَرِّ، ومَعَـهُ فِي صَفٍّ واحِـدٍ أَبُو ثُمنَةَ رَئِيـسُ البَحـرِ وقَائِـدُهُ، مَعَ نَفَـرٍ مِن أَصحَابِـهِ يَنتَظِرُ الصَّـلَاةَ، ويَتَطَلَّعُ عَـلَى مَرَاكِبَ تَحـتَ المِينَـاءِ، فَلَمَّا رَفَعَ الشَّـيخُ يَدَيـهِ فِي الرُّكُوعِ وفِي رَفعِ الـرَّأسِ مِنهُ، قَـالَ أَبُو ثُمنَةَ وأَصحَابُـهُ: أَلَا تَـرَونَ إِلَى هَـذَا المَشرِقِيِّ كَيفَ دَخَلَ مَسـجِدَنَا؟ فَقُومُـوا إِلَيهِ فَاقتُلُوهُ وارمُـوا بِـهِ فِي البَحـرِ، فَـلَا يَرَاكُـم أَحَـدٌ، فَطَـارَ قَلبِـي مِن بَـينِ جَوانِحِـي، وقُلتُ: سُـبحَانَ اللهَّ، هَـذَا الطُّرطُـوشِيُّ فَقِيـهُ الوقـتِ، فَقَالُـوا لِي: ولِمَ يَرفَـعُ يَدَيـهِ؟ فَقُلتُ: كَذَلِـكَ كَانَ النَّبِـيُّ ﷺ يَفعَـلُ، وهُـو مَذهَـبُ مَالِـكٍ فِي رِوايَـةِ أَهـلِ المَدِينَـةِ عَنـهُ، وجَعَلـتُ أُسَـكِّنُهُم وأُسـكِتُهُم، حَتَّـى فَـرَغَ مِن صَلَاتِـهِ، وقُمـتُ مَعَهُ إِلَى المَسـكَنِ مِـنَ المُحـرِسِ، ورَأَى تَغَـيُّرَ وجهِـي، فَأَنكَـرَهُ، وسَـأَلَنِي فَأَعلَمتُهُ فَضَحِـكَ، وقَالَ: ومِـن أَيـنَ لِي أَن أُقتَـلَ عَـلَى سُـنَّةٍ؟! فَقُلتُ لَـهُ: ولَا يَحِـلُّ لَكَ هَـذَا؛ فَإِنَّكَ بَـينَ قَومٍ إِن قُمـتَ بِهَـا قَامُـوا عَلَيـكَ، ورُبَّـمَا ذَهَـبَ دَمُكَ، فَقَـالَ: دَع هَـذَا الـكَلَامَ وخُذ فِي غَيرِهِ.(١)

(١) «أَحكَام القُرآنِ لِابنِ العَرَبِيِّ ط العِلمِيَّة» (٤/ ٣٧٠).

﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ ﴾ [الانشِقَاق: ٢٢]

الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ بِهَذِهِ القُدرَةِ، وسَبَبُ تكذِيبِهِم تَقلِيدُهُم لِأَسلَافِهِم، أَو عَدَاوتُهُم لِلرَّسُولِ ﷺ أَوِ الخَوفُ مِن ضَيَاعِ المَنَاصِبِ والمَكَاسِبِ الَّتِي كَانُوا يَحصُلُونَ عَلَيهَا.

﴿ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴾ [الانشِقَاق: ٢٣]

قَالَ الفَرَّاءُ: الإِيعَاءُ هُو مَا يَجمَعُونَ فِي صُدُورِهِم مِنَ التَّكذِيبِ والإِثمِ.[1]

وقَولُهُ جَلَّ ذِكرُهُ: ﴿ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴾ فِيهِ ثَلَاثَةُ تَأوِيلَاتٍ:

* **أَحَدُهَا**: بِمَا يُسِرُّونَ فِي قُلُوبِهِم. قَالَهُ ابنُ عَبَّاسٍ.

* **الثَّانِي**: بِمَا يَكتُمُونَ مِن أَفعَالِهِم. قَالَهُ مُجَاهِدٌ.[2]

* **الثَّالِثُ**: بِمَا يَجمَعُونَ مِن سَيِّئَاتِهِم، مَأخُوذٌ مِنَ الوِعَاءِ الَّذِي يُجمَعُ مَا فِيهِ، وهُو مَعنَى قَولِ ابنِ زَيدٍ.[3]

---

(١) «مَعَانِي القُرآنِ لِلفَرَّاءِ» (٣/ ٢٥٢).

(٢) «تَفسِير الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ٢٥٨).

(٣) «تَفسِير المَاورِدِيِّ = النُّكَت والعُيُون» (٦/ ٢٣٩).

۞ قَالَ ابنُ زَيدٍ فِي قَولِهِ: ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾: المَرءُ يُوعِي مَتَاعَهُ ومَالَهُ، هَذَا فِي هَذَا، وهَذَا فِي هَذَا، هَكَذَا يَعرِفُ اللهُ مَا يُوعُونَ مِنَ الأَعمَالِ، والأَعمَالُ السَّيِّئَةُ مِمَّا تُوعِيهِ قُلُوبُهُم، ويَجتَمِعُ فِيهَا مِن هَذِهِ الأَعمَالِ الخَيرُ والشَّرُّ؛ فَالقُلُوبُ وِعَاءُ هَذِهِ الأَعمَالِ كُلِّهَا: الخَيرِ والشَّرِّ، يَعلَمُ مَا يُسِرُّونَ ومَا يُعلِنُونَ، ولَقَد وعَى لَكُم مَا لَا يَدرِي أَحَدٌ مَا هُو مِنَ القُرآنِ وغَيرِ ذَلِكَ، فَاتَّقُوا اللهَ وإِيَّاكُم أَن تُدخِلُوا عَلَى مَكَارِمِ هَذِهِ الأَعمَالِ بَعضَ هَذِهِ الخَبَثِ مَا يُفسِدُهَا[1].

﴿فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الانشِقَاق: ٢٤]

وسُمِّيَتِ البِشَارَةُ بِشَارَةً؛ لِأَنَّهَا تُؤَثِّرُ فِي البَشَرَةِ سُرُورًا أَو غَمًّا.

﴿فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ هَذَا استِهزَاءٌ بِهِم، واستِهزَاءٌ مِنهُم.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونِۭ﴾ [الانشِقَاق: ٢٥]

دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الاستِثنَاءَ قَد يَجُوزُ مِن غَيرِ جِنسِهِ؛ لِأَنَّ المُؤمِنَ غَيرُ الكَافِرِ، وقَدِ استُثنِيَ مِنهُ كَمَا تَرَى.[2]

(١) «تَفسِير الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ٢٥٨) لعلها فيفسدها.

(٢) «النُّكَتُ الدَّالَّةُ عَلَى البَيَان فِي أَنواعِ العُلُومِ والأَحكَام» (٤/ ٤٩٧).

وقَولُه جَلَّ ذِكرُهُ: ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ **فِيهِ أَربَعَةُ تَأوِيلاتٍ:**

* **أَحَدُهَا:** غَيرُ مَحسُوبٍ. قَالَهُ مُجَاهِدٌ.(١)

* **الثَّانِي:** غَيرُ مَنقُوصٍ. قَالَهُ ابنُ عَبَّاسٍ.(٢)

* **الثَّالِثُ:** غَيرُ مَقطُوعٍ.

* **الرَّابِعُ:** غَيرُ مُكَدَّرٍ بِالمَنِّ والأَذَى. وهُو مَعنَى قَولِ الحَسَنِ.(٣)

وهَذَا القَولُ الآخرُ عَن بَعضِهِم قَد أَنكَرَهُ غَيرُ واحِدٍ؛ فَإِنَّ اللهَ ﷻ لَهُ المِنَّةُ عَلَى أَهلِ الجَنَّةِ فِي كُلِّ حَالٍ وآنٍ ولَحظَةٍ، وإِنَّمَا دَخَلُوهَا بِفَضلِهِ ورَحمَتِهِ لَا بِأَعمَالِهِم، فَلَهُ عَلَيهِمُ المِنَّةُ دَائِمًا سَرمَدًا، والحَمدُ للهِ وحدَهُ أَبَدًا؛ ولِهَذَا يُلهَمُونَ تَسبِيحَهُ وتَحمِيدَهُ كَمَا يُلهَمُونَ النَّفَسَ: ﴿وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يُونُس: ١٠](٤).

---

(١) «تَفسِير الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ٢٥٩).

(٢) «تَفسِير الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ٢٥٩).

(٣) «تَفسِير المَاوردِيِّ» = النُّكَت والعُيُون» (٦/ ٢٣٩).

(٤) «تَفسِير بنِ كَثِير ت سَلامَة» (٨/ ٣٦٢).